

الجزء الخامس

الناشر
دار ابن رجب

فارسكور - دمياط ت : ٠٤٤١٥٥٠ / ٠٥٧
المنصورة - محطة الأتوبيس الدولية

الطبعة الأولي

١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م

الناشر

دار ابن رجب

فارســـــكور : ٠٥٧ /٤٤١٥٥٠

المنصـــــورة : محطة الأتوبيس الدولية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ محمد حسان

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه .

وبعد . . . .

فهذا هو الجزء الخامس من كتاب الخطب، وقد أفردناه كاملا لسلسلة « السبع الموبقات» التي حذَّر منها النبي ﷺ كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

« **اجتنبوا السبع الموبقات**» . قالوا: يا رسول الله وما هُنَّ ؟ **قال:«الشرك بالله، والسحرُ وقتلُ النفس التى حرَّم الله إلا بالحق،وأكلُ مالِ اليتيم،وأكلُ الربا،والتولى يومَ الزحف وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمنات** ».

وهذه السلسلة تجمع بين المنهجية والرقائق وبين التأصيل العلمي والأسلوب الوعظي، والهدف منها تحذير الأمة من الصغائر والكبائر التي لو اجتمعت علي العبد أهلكته والعياذ بالله.

وكنت قد ناديت بها من علي منبر جامع الراجحي بالقصيم بالسعودية ثم أعدتها مرة أخري علي منبر مجمع أهل السنة بقريتي دموه.

أسأل الله أن ينفع بها مقروءة ومسموعة، وأن يردنا إلي الحق ردًا جميلاً، وأن يختم لنا بخاتمة السعادة وألا يحرمنا الزيادة، إنه ولي ذلك ومولاه.

وصلي اللهم علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أبو أحمد محمد بن حسان

مصر - المنصورة

جماد الآخرة ١٤١٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

« الشرك بالله »

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

أحبتى فى الله

نبدأ اليوم مع حضراتكم بإذن الله تعالى سلسلة منهجية جديدة بعنوان

« اجتنبوا السبع الموبقات »

وهى شرح لحديث صحيح رواه البخارى ومسلم وأبو داودَ والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **اجتنبوا السبع الموبقات**». قالوا: يا رسول الله وما هُنَّ ؟ **قال:«الشرك بالله، والسحرُ وقتلُ النفس التى حرَّم الله إلا بالحق،وأكلُ مال اليتيم،وأكلُ الربا،والتولى يومَ الزحف وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات »**[1]

اجتنبوا السبع الموبقات : أى المهلكات وسميت بذلك لأنها سبب

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٦٦) فى الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾ ، وفى الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات، وفى المحاربين، باب رمى=

لإهلاك مرتكبها والعياذ بالله .

وقال الحافظ ابن حجر : الموبقات أى الكبائر .

وبدأ النبى ﷺ بالحديث عن أكبر الكبائر وهو الشرك .

وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا فسوف أركز الحديث مع حضراتكم فى العناصر التالية :

أولاً : خطورة الشرك .

ثانياً : رحلة الشرك .

ثالثاً : أقسام الشرك .

رابعاً : فضل التوحيد .

فأعيرونى القلوب والأسماع فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان .

أولاً : خطورة الشرك

أحبتى فى الله :

إن الشرك هو أظلمُ الظلم، وأقبحُ الجهل، وأكبرُ الكبائر .

ولذلك لم تدعُ الرسل جميعاً إلى شـئ قبل التوحيد، ولم تنه الرسل جميعاً عن شئ قبل التنديد ، ولم يتوعد اللهُ على ذنب أكثر مما جاء فى

= المحـصنات، ومسـلم رقم (٨٩) فى الإيمان باب بيـان الكبائر وأكبـرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) فى الوصايا، باب ما جاء فى التشـديد فى أكل مال اليتيم والنسائى (٦/ ٢٥٧)فى الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم.

الشرك من الوعيد الشديد.

قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾ [النساء : ٤٨]

وقال سبحانه : ﴿ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) ﴾ [المائدة: ٧٢]

بل وخاطب الله جل وعلا صفوة خلقه وهم الرسل قائلاً :

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) ﴾ [الأنعام: ٨٨]

بل وخاطب حبيبه وخليله وسيد أنبياءه وإمام أصفيائه وقائد الموحدين وقدوة المحققين محمداً ﷺ بقوله : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) ﴾ [الزمر: ٦٥]

ومن ثم ورد فى صحيح البخارى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار** »[1].

قال ابن مسعود: ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

وفى صحيح مسلم من حديث جابر بن عبدالله أن رجلاً أتى النبى

---

(١) رواه البخارى رقم (١٢٣٨) فى الجنائز فى فاتحته، وفى تفسير سورة البقرة ، باب ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً** ﴾ ، وفى الإيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو هلّل فهو على نيته، ومسلم رقم (٩٢) فى الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

ﷺ فقال يا رسول الله ﷺ: « **ثنتان موجبتان** » .

قال رجل : ما الموجبتان ؟

فقال: « **من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات يشركُ بالله شيئاً دخل النار** »[1].

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: كنت رِدْفَ رسول الله ﷺ، ليس بينى وبينه إلا مؤخرة الرحل: « كور البعير، ومُؤْخِرته : الخشبة التى فى آخره يستند إليها الراكب ».

قال : **يا معاذ بن جبل**.

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك .

ثم سار ساعة فقال: «**يا معاذ بن جبل** .

قلت: لبيك الله وسعديك .

ثم سار ساعة فقال: **يا معاذ بن جبل** .

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك .

قال: «**هل تدرى ما حق الله على العباد**»؟

قلت: الله ورسوله أعلم .

قال : « **فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً** » .

ثم سار ساعة ثم قال: **يا معاذ بن جبل**.

قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك .

---

(١) رواه مسلم رقم (٩٣) فى الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة .

قال: « **هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك** ».

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: « **حق العباد على الله أن لا يعذبهم** »[(١)].

وعن أبى ذر رضى الله عنه كما فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: « **أتانى جبريل فبشرنى: أنه من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة** » فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق** »[(٢)].

وفى الصحيحين عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضى الله عنهما قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبى أميه.

فقال النبى: «**أى عَمِّ، قل لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل، وعبدالله بن أبى أمية: يا أبا طالب أترغبُ عن ملة

(١) رواه البخارى رقم (٧٣٧٣) فى التوحيد، باب ما جاء فى دعاء النبى ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، وفى الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، وفى اللباس، باب حمل صاحب الدابة غيره بين يديه: وفى الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، وفى الرقاق باب من جاهد نفسه، وفى العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، ومسلم رقم (٣٠) فى الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، والترمذى رقم (٢٦٤٥) فى الإيمان، باب ما جاء فى افتراق هذه الأمة.

(٢) رواه البخارى (٣/ ٨٨، ٨٩) فى الجنائز، باب فى الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، وفى التوحيد باب كلام الرب جبريل ونداء الله الملائكة، ومسلم رقم (٩٤) فى الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، والترمذى رقم (٢٦٤٦) فى الإيمان، باب ما جاء فى افتراق هذه الأمة.

عبدالمطلب؟

فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان لتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم: بل على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول: لا إله إلا الله فقال النبى ﷺ لاستغفرن لك مالك أنه عنك، فنزل قول الله عز وجل: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** (١١٣) ﴾

[التوبة: ١١٣]

وأنزل الله عز وجل فى أبى طالب فقال لرسول الله ﷺ:

﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** (٥٦) ﴾ [القصص: ٥٦] »[1]

والآيات والأحاديث فى خطورة الشرك كثيرة جداً ولا يتسع الوقت للوقوف عليها .

---

(١) رواه مسلم رقم (٧/ ١٤٩) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب قصة أبى طالب، وفى الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، وفى تفسير سورة براءة، باب قوله تعالى: ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ وفى تفسير سورة القصص، وفى الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو هلّل فهو على نيته، ومسلم رقم (٢٤) فى الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ولم يشرع فى النزع والنسائى (٤/ ٩٠، ٩١) فى الجنائز باب النهى عن الاستغفار للمشركين .

ثانيا : رحلة الشرك

فالسؤال الذى يقفز إلى الأذهان الآن ونحن نتحدث عن الشرك هو كيف وصل الشرك إلى الأرض؟

وكيف دّنس الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

والمشهور عند العلماء أن بداية ظهور الشرك كانت فى قوم نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

فلقد كان بنو آدم على ملةِ أبيهم آدم عليه السلام على شريعة من الحق والهدى كما روى ذلك شيخ المفسرين ابن جرير الطبرى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث النبيين مبشرين ومنذرين .

نعم .. كان الناس على شريعة من الحق والهدى حتى زيَّن الشيطان ـ عليه لعنة الله ـ لقومِ نوحٍ عبادة الأصنام التى نصبوها بأيديهم لرجال صالحين من قوم نوح من أجل أن لا تُنسى سيرتُهم ويظلوا يذكرونهم دائماً .

فلما انقضت الأعمار وهلك هؤلاء ونسى العلم عُبدت هذه الأصنام من دون الله عز وجل كما روى البخارى ذلك فى كتاب التفسير فى سورة نوح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

« صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد،أما وَدٌّ فكانت لكلْب بدومة الجندل،وأمَّا سُواعٌ فكانت لهذيل،وأمَّا يغوثُ

فكانت لمراد،ثـم لبنى غُطيف بالجـرف عند سبـأ،وأمـا يعـوق فكانت لهْمدانَ،وأمَّا نسْرٌ فكانت لحمير،لآل ذى الكلاع،أسماء رجال صالحين من قـوم نوح،فلما هلـكوا أوحى الشيطان إلى قـومـهم أن انصبـوا إلى مجالسـهم التى كانوا يجلسون أنصابـاً وسمُّوها بأسمائهم فـفعلوا ،فلم تُعْبَدْ،حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخ العلم عُبِدت »[١] .

ومعنى تنسخ العلم : أى علم تلك الصور بخصوصها .

وقال الحافظ فى الفتح :

أخرج الفاكهى من طريق عبيد بن عمير قال: أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح، وكانت الأبناء تبر الآباء، فمات رجل منهم فجزع عليه، فجـعل لا يصـبر عنه، فـاتخذ مـثالا على صـورته فكلما اشـتاق إلـيه نظره، ثم مات ففُعِل به كما فعل حتى تتابعوا على ذلك فلما مات الآباء فقال الأبناء: ما اتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم فعبدوها .أ.هـ[٢]

فلما أراد الله أن يرحمهم وأن يخرجهم من ظلمات الشرك إلى أنوار التوحـيد أرسل الله إليهم نوحـاً عليه السلام فلبث فـيهم ألف سنة إلا خمـسين عامـاً يدعوهم إلى الله عـز وجل فى الليل والنهار فـى السر والعلانية .

ولكنهم عاندوا وأصدروا واستكبروا استكباراً عنيداً:

﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

---

(١) رواه البخارى رقم (٤٩٢٠) فى التفسير ،باب (ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق)

(٢) فتح البارى (٨ / ٥٣٧) ط . دار الريان فى شرح أثر ابن عباس السابق .

وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح: ٢٣]

فلما يئس منهم نبى الله نوح دعا عليهم بقوله :

﴿ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [نوح: ٢٦]

فاستجاب الله لنبيه فأهلكهم بالطوفان قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

[هود: ٤٠ ـ ٤٤]

ثم جاء من بعد قوم نوح قومُ عاد فعبدوا آلهة أخرى مع الله جل وعلا منها هدا وصدى وصموداً فأرسل الله إليهم هوداً عليه السلام فدعاهم إلى التوحيد وقال : « **يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** » فاستكبروا وكذبوا فأهلكهم الله بالريح .

ثم جاء من بعدهم قومُ ثمود فأرسل الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى التوحيد فكذبوه وحاربوه وعاندوه فأهلكهم الله بالصيحة .

ثم جاء من بعدهم قوم إبراهيم عليه السلام فعبدوا الأصنام والشمس والقمر والنجوم فأرسل الله إليهم خليله إبراهيم عليه السلام ولم يبعث من بعده نبياً إلا من ذريته فكل الأنبياء والرسل من ذرية إسحاق عليه السلام .

أما إسماعيل فلم يبعث الله من ذريته إلا نبينا محمداً ﷺ الذى فضله الله على جميع الأنبياء والمرسلين .

ثم انتقل الشرك إلى بنى اسرائيل فعبد أولهم العجلَ الذى حرَّمَهَ موسى وهارون عليهما السلام وعبد أخرُهم عزيراً وجعلوه ولداً لله تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

ثم عبدالنصارى المسيح ابن مريم .

ثم انتقل الشرك إلى العرب وانتقل إلى أرض الجزيرة العربية على يد عمرو بن عامر الخزاعى قبحه الله .

كما أخبر بذلك نبينا ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

«رأيت عمروَ بنَ عامر الخزاعى يجرُ قُصْبَه فى النار وكان أولَ من سيَّب السوائب » .

وفى لفظ أحمد « **وغيرّ دين إبراهيم** »[١] .

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٥٢١) فى الأنبياء،باب قصة خزاعة،وفى تفسير سورة المائدة،باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام،ومسلم رقم (٢٨٥٦) فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء .

وقصْبه بضم القاف وتسكين الصاد يعنى أمعاءَه .

ثم بدأت الأصنام تكثرُ وتنتشرُ فى أرض الجزيرة بل وحول الكعبة حتي ثبت فى الحليه وسير أعلام النبلاء بسند صحيح عن أبى رجاء العطاردى قال: كنا نعبدُ الحجر فى الجاهلية فإذا وجدنا حجراً أحسنَ منه ألقينا الأول وأخذناه فإذا لم نجد حجراً جمعنا كومةً من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به »

فمَنّ الله عليهم بل وعلى البشرية كلها فبعث فيهم إمام الموحدين وقدوة المحققين وسيد الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ وامتن الله عليهم بذلك فقال:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

فقام النبى يدعوهم إلى توحيد الله عز وجل ينقذهم من هذا الجحيم الذى اشعلوه بأيديهم وعشقوا التلظى بناره فمنهم من عاند وأعرض وكفر وقالوا:

﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ ﴾ [ص: ٥ ـ ٧]

وقامت هذه الفئة الكافرة لتصب الفتن والإيذاء والعذاب صباً على

رؤوس أصحابه وتضع الحواجز والسدود فى طريق الدعوة !! .
ولكن هذا كله لم يَزِدْ المؤمنين الذين ذاقوا حلاوة الإيمان إلا صبراً وصلابة وإيماناً حتى جاء نصرُ الله ودخل الناسُ فى دين الله أفواجاً.
وظلت الأمة ترفل فى ثوب التوحيد الذى كساها إياه إمام الموحدين وقدوة الناس أجمعين ﷺ حتى أطلّت الفتن برأسها الظلوم ووجهها الكالح الغشوم وابتعدت الأمة رويداً رويداً عن حقيقة التوحيد!!
وبدأ الشرك يُطل برأسه من جديد وكثرت صوره ومظاهره ووقع فيه كثير ممن يتسمَّوْن بالمسلمين إلا من رحم الله جل وعلا !!!
فلم يعد الشرك متمثلاً فى هذه الصورة الساذجة التى كان يزاولها المشركون قديماً فى صورة حجر يصنعوه بأيديهم ثم يصرفون له العبادة من دون الله عز وجل بل لقد تعددت صورُ الشرك وكثرت الآلهةُ التى تُعبد فى الأرض من دون الله عز وجل فى مجال الاعتقاد وفى مجال النسك وفى مجال التشريع !!
ولا يتسع الوقت للتفصيل ولكن يكفى أن نعلم أنه إلى يومنا هذا يوجد فى الهند أكثر من مئتى مليون بقرة تُعبد من دون الله عز وجل!!
وتُقام المعابدُ الفخمة الضخمة التى تقرب إليها القرابينُ والنذور !!
ولكن هل يا ترى أتعلمون ما هى الآلهة التى تعبد فى هذه المعابد الضخمة ؟!! إنها الفئران !! نعم .. إنها الفئران !!!
وهذا كُله يُلقى علينا نحن الموحدين مسؤلية كبيرة أمام الله عز وجل.
فما الذى قدمناه ؟!! وما الذى بدلناه ؟!!

علمــاً بأن إصدار الأحكام على الناس فـقط دون التحـرك وبســرعة لدعوتهم إلى التوحيد الخالص لن يغير من واقع الأمر شيئاً .

ثالثاً : أقسام الشرك

أحبتى فى الله : الشرك نوعان أكبر وأصغر .

فالشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه .

وهو أن يتخـذ من دون الله نداً يحبـه كما يحبُ اللـه ويخافُه كـما يخافُ اللهَ عـز وجل وهذا هو شرك التســوية كما قـال الله حكاية عن المشركين لآلهتهم فى النار :

﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨) ﴾

[الشعراء :٩٧ ـ ٩٨]

نعم فلقد كانت هذه التسوية فى المحبة والتعظيم والعبادة !!

كـمـا أنهم اتخـذوهم أرباباً يشـرعـون لهم من دون الله عـز وجل فعظموا تشريعهم وأراءهم أعظم من شرائع الله رب العالمين !!

ولذلك لما سـأل أبو هريرة رضى الله عنه رسـول الله ﷺ قـائلاً يا رسول الله :من اسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟!

قال: « **لقـد ظننـت يا أبا هريرة أن لا يسـألنـى عن هذا الحـديث أوّل منك،لما رأيت من حِـرصِك على الحديث،أسـعد الناس بشـفاعـتى يوم**

القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه »[١]

والشاهد هو كيف أن رسول الله قد جعل أعظم الأسباب التى تُنال بها شفاعته هى تجريدُ وإخلاصُ التوحيد لله العزيز الحميد .

فلا شفاعة على الاطلاق لهذه الآلهة المكذوبة المدعاة التى يعبدها عبادها ظناً منهم أنها ستشفع لهم عند الله عز وجل:

وقد قال الله تعالى: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقال عز وجل: ﴿ **وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ** ﴾ [الأنبياء: ٢٨]

وأنه تعالى لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً** (٥٦) ﴾ [الاسراء: ٥٦]

القسم الثانى : الشرك الأصغر :

وقد عَرَّفَهُ النبى ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع من حديث عمران ابن الحصين أن النبى ﷺ قال: « **إن أخوفَ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغر** »

---

(١) رواه البخارى رقم (٩٩) فى العلم باب الحرص على الحديث ، وفى الرقاق، باب صفة الجنة والنار .

قالوا: وما الشركُ الأصغر يا رسول الله.

قال : « **الرياء، يقول يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً** »[1]

والرياء لغة : مشتق من الرؤية .

وشرعاً: هو أن يقوم العبد بالأعمال لا يريد بها وجه الله عز وجل فحدُّ الرياء هو إرادةُ العباد بطاعة الله عز وجل .

والرياءُ محبط للأعمال لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً .

والخالص: هو ما ابتغى به وجه الله .

والصواب: هو ما كان موافقاً لهدى رسول الله ﷺ .

يقول الله تعالى :

﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)** ﴾ [الكهف: ١١٠]

وفى الحديث الذى رواه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة قال رسول الله : « **إن أولّ الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجل استُشهد فأُتى به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرئٌ، فقد قيل، ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى أُلقى فى النار، ورجل تعلم العلم وعلم**

(١) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١٥٠٥).

وقرأ القرآن فأُتى به فعرّفه نعمه فعرفها،قال:فما عملت فيها؟قال تعلمت العلم وعلمتهُ وقرأتَ فيك القرآن،قال:كذبت،بل تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارى فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى أُلقى فى النار،ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها،قال:فما عملت فيها؟قال ما تركت من سبيل .تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت،ولكنك فعلت ليقال هو جوادٌ،فقد قيل،ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه ثم ألقى فى النار»[1] .

وأخيراً أرى من الحكمة أن نريح القلوب الموحدة بعد أن أتعبناها بهذا الحديث الطويل عن الشرك ٠٠وأن نزف إليها بعض البشريات النبوية الكريمة فى فضل تحقيق التوحيد وإخلاص العبودية والعبادة لله العزيز الحميد .

ففى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه،والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كانا من العمل » .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٩٠٥) فى الإمارة،باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار،والترمذى رقم (٢٣٨٣) فى الزهد،باب ما جاء فى الرياء والسمعة ،والنسائى (٦/ ٢٣ , ٢٤) فى الجهاد ،باب من قاتل ليقال: فلان جرئ.

وفى رواية « **أدخله الله من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء** »[(١)].

وفى رواية عتبان بن مالك: « **فإن الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله** ».

وفى الحديث الذى رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى وصحح الحديث شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع من حديث عبدالله بن عمرو أن النبى قال: « **إن الله سيخلص رجلاً من أمتى على رؤوس الخلائق يومَ القيامة فينشرُ عليه تسعةٌ وتسعين سجلاً كلُ سجلٍ مثلُ مدّ البصر ثم يقول أتنكرُ من هذا شيئاً؟أظلمك كتبتى الحافظون؟فيقول:لا يارب،فيقولُ أفلك عذر،فيقول:لا يارب،فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةٌ وإنه لا ظلم عليك اليوم،فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول :أحضُر وزنك،فيقولُ:ياربُ ما هذه البطاقةُ مع هذه السجلات؟فيقال:فإنك لا تُظلم فتُوضع السجلات فى كفّة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شئ**»[(٢)].

---

(١) رواه البخارى رقم (٣٤٣٥) في الأنبياء،باب قول الله تعالى: « **يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق** »،ومسلم رقم (٢٩) فى الإيمان ،باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة،والترمذى رقم (٢٦٤٠) فى الإيمان،باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله .

(٢) رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه شيخنا الألبانى فى الصحيحة (١٣٥) وصحيح الجامع (١٧٧٦) .

ومعلوم أن السر الذى ثقل البطاقة وطاشت من أجله السجلات هو التوحيد الخالص الذى لو وضعت ذرة منه على جبال من الذنوب والخطايا لأذابتها وبددتها بحول الله جل وعلا فإن للتوحيد نوراً يبدد ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة هذا النور .

ونختم بهذا الحديث الصحيح الذى رواه مُسلم والترمذى وهذا لفظُ الترمذى من حديث أنس أن النبى قال .

قال تعالى :« يا بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى:غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى،يا ابن آدم لوبلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى،غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة »[1]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه،عن النبى ﷺ - فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى - قال: « **أذنب عبدٌ ذنباً،فقال:اللهم اغفر لى ذنبى،فقال تبارك وتعالى :أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب،ثم عاد فأذنب ،فقال:أى رب،اغفر لى ذنبى فقال تبارك وتعالى:عبدى أذنب ذنبا فعلم أن له رباً يعفر الذنب ويأخذ بالذنب ،ثم عاد فأذنب ،فقال:أى رب،اغفر لى ذنبى،فقال تبارك وتعالى :أذنب**

(١) رواه الترمذى فى الدعوات رقم (٣٥٣٤) باب رقم (١٠٦) وذكره الحافظ فى الفتح وقال:رواه ابن حبان وصححه وحسنه شيخنا الألبانى فى الصحيحة رقم (١٢٧) وصحيح الجامع رقم (٤٣٣٨) وقال رواه الترمذى والدارمى (٢/ ٣٢٢)،وأحمد (٥/ ١٧٢).

عبـدى ذنبا،فعلم أن له رباً يغفـر الذنب ويأخذ بالذنب،اعمل مـا شئت فقد غفرت لك »[(١)].

والله تعالى أعلم وصـلى الله على نبينا محـمد وعلى آله وصحـبه وسلم

٠٠٠٠٠ الدعاء

---

(١) رواه البخارى رقم (٧٥٠٧) فى التوحيد ،باب قول الله تعالى: « يريدون أن يبدّلوا كلام الله » ومسلم رقم (٢٧٥٨) واللفظ فى التوبة،باب قبول التوبة من الذنوب .

بسم الله الرحمن الرحيم

« السحر »

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١]

أما بعد :-

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكلا ضلالة فى النار .

أحبتى فى الله . . . .

هذا هو لقاءنا الثانى مع السبع الموبقات التى حذر منها النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

« **اجتنبوا السبع الموبقات** » قالوا: يا رسول الله وما هُنْ؟قال : «**الشرك بالله،والسحر،وقتلُ النفس التى حرم الله إلا بالحق،وأكلُ الربا،وأكلُ مال اليتيم،والتولى يوم الزحف،وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات** »[1] .

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الثانية ألا وهى: «**السحر**»

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٦٦) فى الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾، ومسلم رقم (٨٩) فى الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) فى الوصايا، باب ما جاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم، والنسائى (٦/ ٢٥٧) فى الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم .

«السحر»

والسحرُ عالم عجيب تختلط فيه الحقيقة بالخرافة٠٠والعلم بالشعوذة ٠٠كما تختلط فيه الدوافعُ والبواعث٠٠والغاياتُ والأهداف !!

وهو عالمُ ظاهرهُ جـميلُ خلاب يفتن قلوبَ البسطاء ويخـدعُ السذج والرعاع !!

وباطنهُ قـذرٌ عفن يتـجـافى عنه أولوا الألبـاب وينأى عنه أصحـابُ القلوب المستنيرة والفطر السليمة !!

وتاريخ السحر تاريخٌ أسود قاتم !!

فهـو خدعـة شيـطانية يضلُّ بهـا شيـاطين الإنسِ والجن عبـادَ الله فيـوقعونهم بالسـحر فى أعظم جـريمة جريمة الكفرِ والشـرك والضلال ٠٠!![1]

أحبتى فى الله :

لقد أصبح التوجه إلى السحـر والسحرة فى هذا العصر المتطور منذراً بالخطر٠!!

فلقد أذاقت الحـياةُ المادية الجافة البـشرية البلاء العظيم فلقـد قست القلوب !! وجفّت ينابيعُ الخير فى أرواح أكثر الناس !!

فكثرت العقد والمشكلاتُ النفسية التى أصبحت سمةَ العصر .

وأخذ كثيرٌ من الذين فقدوا راحة القلب وطمأنينة النفس يلجأون إلى السحرة والمشعوذين !!

---

(١) عالم السحر والشعوذة لعمر الأشقر ص٨,٧ .

يبحثون عندهم عن حل لمشكلات استعصت على علماء النفس وأساتذة علم الاجتماع فكانوا بذلك كالمستجير من الرمضاء بالنار !![١]

ونظراً لخطورة هذا الموضوع فسوف أفردُ له لقاءين كاملين بإذن الله جل وعلا وسينتظم حديثى فى العناصر التالية :

أولاً : تعريف السحر فى اللغة والاصطلاح .
ثانياً : حقيقةُ السحر وأنواعه .
ثالثاً : هل سُحَر النبىُ ﷺ .
رابعاً : حُكمُ السحر وحدُّ الساحر .
خامساً : الوقاية من السحر .
فأعيرونى القلوبَ والأسماع فإن هذا اللقاءَ من الأهمية بمكان .

(١) المصدر السابق .

أولاً: تعريف السحر في اللغة والاصطلاح

يُطلق السحرُ فى لغة العرب على كل شئ خفى سببه .

وقال أبو عبيد: أصلُ السحرِ صرفُ الشئِ عن حقيقته إلى غيره، قال عز وجل : ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٩]

أى فأنى تصـرفون، وهذا الصرف قد يـكون للعين وهو الأَخَذة التى تأخذ العين فلا ترى الأشياء على حقيقتها وقد يكون للقلب من البغض إلى الحب أو من الحب إلى البغض .

وقد يكون هذا الصرف بالقول الحلال فهو البيان .

ومن صحيح البخارى وغيـره فى كتاب الطب من حديث عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: « **إن من البيان لسحرا** »[1]

أما تعريف السحر فى اصطلاح العلماء :

قال الفخرُ الرازى فى تفسيـره: اعلم أن لفظ السحر فى عُرف الشرع مختص بكل أمرٍ يخفى سببه ويتخيل على غـير حقيقته ويجرى مجرى

---

(١) رواه البخارى رقم (٥٧٦٧) فى الطب، باب إن من البيان لسحراً، والموطأ (٢/ ٩٨٦) فى الكلام، باب ما يـكره من الكلام بغير ذكـر الله، وأبو داود رقم (٥٠٠٧) فى الأدب، باب ما جـاء المتشـدق فى الكلام، والترمـذى رقم (٢٠٢٩) فى البر ،باب مـا جاء فى أن من البيان سحراً، ورواه مسلم رقم (٨٦٩) فى الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة وأبو داود رقم (١١٠٦) فى الصـلاة، باب إقصار الخطبـة، عن أبى وائل قال: خطبنا عـمار، فـأوجز وأبلغ فلمـا نزل قلنا: يا أبا اليـقظان لقد أبلغت وأوجـزت، فلو كنت تنفـست؟ فقـال: إنى سمعت رسول الله يقول: « **إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مَئِنَّةٌ من فقهه، فأقصروا الخطبة وأطيلوا الصلاة وإن من البيان سحراً** » .

التمويه والخداع.

ووافقه إلامامُ الجصاص فى هذا التعريف وغيره وهؤلاء هم الذين يرون بأن السحر لا حقيقة له إنما هو تخييل وسوف نوضح هذا إن شاء الله عز وجل .

وعرّف السحر الإمام ابن قدامة فى كتاب المغنى مع الشرح الكبير فى المجلد العاشر فقال: السحرُ هو عُقدٌ ورُقى وكلامٌ يتكلم به (أى الساحر) ويكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر فى بدن المسحور أو قلبه أو عقلهِ من غير مباشرة له وله (أى للسحر) حقيقة فمنه ما يقتل وما يُمرِضُ وما يأخذُ الرجلَ عن امرأته فيمنعُهُ وطأها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغضُ أحدُهما إلى الآخر أو يُحبِّب بين اثنين .أ.هـ .

وهنا يجب أن نفرق بين السحر والكرامة والمعجزة فالسحر اتفاق بين الساحر والشيطان على أن يقوم الساحرُ بفعل الكفر والشرك وكل ما هو محرم فى مقابل أن يساعده الشيطانُ وأن يعينه فى كل ما يطلبه منه الساحر.

وكلما ازداد الساحرُ كفراً بالله وعبادةً للشيطان كلما ازداد الشيطان له طاعة .

أما الكرامة فلا تكون إلا للولى .

وأما المعجزة فلا تكون إلا للنبى .

وجماعهما الأمرُ الخارِق للعادة كما قال شيخ الاسلام ابنُ تيمية فى مجموع الفتاوى فى المجلد الحادى عشر .

ثانياً: حقيقة السحر وأنواعه

بعد أن تعرفنا على معنى السحر لغة واصطلاحاً نقف الآن على حقيقة السحر .

يقول الإمام القرطبى[١] : « ومذهبُ أهلِ السنة والجماعة أن السحَر ثابت وله حقيقة وقد اتفق على هذا أهلُ الَحلِّ والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع ولا عبرة مع اتفاقهم للمخالفين » .

وقال الإمام النووى : « قال بعض أصحابنا أى من الشافعية: بأن السحر لا حقيقة له وإنما هو تخييل والصحيح أن السحَر له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدلُ عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة »[٢]

واستدل القائلون بأن السحَر تخييلٌ لا حقيقة له بقول الله عز وجل:

﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٦٦]

ويقول جل وعلا: ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) ﴾ [الأعراف: ١١٦]

واستدلوا بأن السحرة لا يقدرون أبداً على قلب حقائق الأعيان كتحويل الحصى إلى ذهب أو كتحويل الورق إلى أموال وغير ذلك ولو كانوا يملكون ذلك لكانوا أغنى الناس وما تحايلوا على أكل أموال الناس بالباطل .

---

(١) تفسير الإمام القرطبى : (٢/٤٦).

(٢) عالم السحر والشعوذة ص٩٠ نقلا عن روضة الطالبين للنووى (٩/٣٤٦).

استـدلوا أيضاً بأن السحـرة لو قدروا على فـعل ذلك لاختلط الحقُ بالباطل والسحرُ بالمعجزة .

واستـدل الجمهور من أهل الـعلم على أن السحر حـقيقة لا تخـييل بأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة .

كقـول الله عز وجل فى سورة البـقرة: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) ﴾ [البقرة: ١٠٢]

فـقد أخـبـر الحق تبـارك وتعـالى فى هذا النص القـرآنى الكريم أن الشياطين يعلمون الناس السحر وأن الناس يتعلمون منهم.

وإذا لم يكن للسحر حقيقة فماذا يُعَلمون وماذا يتعلم الناس ؟!!

وأن النص القـرآنى قد صـرح بأن السـاحر يفـرق بسحـره بين المرء وزوجه، واستدلوا بقول الله عز وجل :﴿ **ومن شر النفاثات فى العقد** ﴾ [العلق: ٤]

والنفاثات فى الـعقد هن السـاحراتُ اللواتى يعقـدن السحـر وينفثن عليه.

قال الجمهور: ولولا أن للسحر حقيقةً ما أمر الله بالاستعاذة منه واستدلوا على حقيقة السحر بوجوده فى الواقع .

يقول ابن القيم: والسحر الذى يؤثر مرضاً وثقلاً وعقلاً وحباً وبغضاً ونزيفاً موجود تعرفه عامة الناس.

ومن أقوى أدلتهم سحرُ النبى ﷺ وسوف أتحدث عنه فى العنصر الثالث حالاً بإذن الله .

ولكن يجب أن نعلم أن تحقيق هذا الخلاف أن الذين قالوا بأن السحر كُلَّه حقيقة قد جانبوا الصواب فى المسألة .

وكذلك الذين قالوا إن السحر كله تخييل لا حقيقة له قد جانبوا الصواب أيضاً .

والتحقيق أن السحر أنواع منه ماله حقيقة ومنه ما هو تخييل لا حقيقة له .

فالسحر الحقيقى:هو الذى يعتمد فيه الساحر على الجن والشياطين وعبادة الكواكب والنجوم.

وكلما ازداد الساحر كفراً وزندقة ازداد الجن والشيطان له طاعة .

وسحر التخييل الذى لا حقيقة له فى الواقع،مبنى على الأخذ بالعيون فترى الشئ على خلاف ما هو عليه،فى الحقيقة .

يقول الحافظ ابن كثير :

وإن سحر سحرة فرعون كان من هذا النوع وقد جاءت النصوص القرآنية صريحة بأنه كان تخييلاً وأخذاً بالعيون قال تعالى: ﴿ فَإِذَا

حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه:٦٦]

وفى قوله تـعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) ﴾ [الأعراف:١١٦]

لأن إيقاع السحر على أعين الناس يدل على أن أعـينهم تخيلت غير الحقيقة الواقعة .

ومن ثم نخلص إلى أن السحر منه ما هو حقيقى ومنه ما هو تخييل والله أعلم .

وهنا يثور هذا التساؤل الخطير: هل سُحِر النبى ﷺ حقاً ؟

والحديث رواه البخارى ومسلم وأحمد وابن ماجة والنسائى والبيهقى وغـيرهم من عـدة طرق عن عدد مـن أصحـاب النبى ﷺ وهذا لفظُ حديث عائشة فى صحيح البخارى فى كتاب الطب قالت:

سحر رسولَ الله رجلٌ من بنى زُرَيق يُقـال له لبيدُ بن الأعصم حتى كان رسولُ الله يخيلُ إليه أنه كـان يفعلُ الشئ وما فعله[1]حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى لكنه دعـا ودعا ثـم قال: « **يا عائشة أشعرت أن الله قد أفتانى فيما استفتيه فيه ؟** ».

قلت: وما ذاك يا رسول الله؟فقال: « **أتانى رجلان فقعد أحدهما عند**

---

(١) قال النووى فى شرح مسلم: قال القاضى عـياض كل ما جاء فى الروايات من أنه يخيل إليـه فعل شئ لم يفـعله ونحوه، فـمحـمول علـى التخـيل بالبصـر، لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس فى ذلك مـا يدخل لبساً عـلى الرسالة ولا طعنا لأهل الضلالة، قـال: وقد جاءت روايات هذا الحديث مـبينة أن السحر إنما تسلط على جسـده وظواهر جوارحه ، لا على عقله وقلبه واعتقاده .

رأسى والآخر عند رجلىّ فقـال أحدهما لصاحبه مـا وجعُ الرجل،فقال مطبوب (أى مسحـور) قال: ومن طبَّه ؟ قال:لبيد بن الأعـصم اليهودى قال فى أى شئ ؟ قال:فى مُـشط ومُشاطَة » والمشاطة أى الشعر المتساقط من الرأس واللحية عند ترجيلهما **«وجُفُّ طلعة ذكر»** (أى على الغشاء الذى يكون على الطلع) **قال وأين هو ؟**

قـال فى بئـر ذى أروان ومن الرواة من قـال: **فى بئـر ذروان** ، قال: وذروان : بئر فى بنـى زريق ـ فذهب النبى ﷺ فى أناس من أصـحابه إلى البئر فنظر إليها، وعليها نخل.

قال: ثم رجع إلى عائشـة، فقال: **«والله لكأنَّ ماءهـا نُقاعَةُ الحِـفَّاء،ولكأن نخلها رؤوس الشياطين،** قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟

قال: **«لا،أمَّا أنا فقد عافانى الله وشفانى،وخشيت أن أُثَور على الناس منه شراً،وأُمر بها فدفنت »**[(١)] .

وعن زيد بن أرقم رضى الله عـنه قال: سَـحَـرَ النَّبى ﷺ رجلٌ من اليهـود، فاشتكـى لذلك أياماً فأتاه جـبريل فقـال: إن رجلا من اليـهود سـحرك، عـقد لك عُـقداً فى بئـر كذا وكـذا، فأرسل رسـول الله ﷺ فاستخرجها فَحلَّها، فـقام رسول الله ﷺ كأنما أُنْشِطَ من عِقَال، فما ذكر

(١) رواه البخارى رقم (٥٧٦٦) فى الطب، بـاب السحر، وباب هل يستخـرج السحر، وباب السحر وفى الجهاد باب هل يعفى الذمى إذا سحر، وفى الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾، ومسلم رقم (٢١٨٩) فى السلام ، باب السـحر، ورواه أيضاً أحمد والـنسائى وابن سعد والحـاكم وعبد بن حمـيد وابن مردويه، والبيـهقى فى «دلائل النبوة» وغـيرهم، قال ابن القـيم فى «بدائع الفوائد»: وهذا الحـديث ثابت عند أهل العلم متلقى عندهم بالقبول .

ذلك لذلك اليهودى ولا رآه فى وجهه قط »[١] .

وقد ردَّ كثير ممن ينسبون إلى العلم هذا الحديث الصحيح وتبعهم فى ذلك من يقدمـون العقل على النقـل ويردون النصوص التى لا تقـبلها عقولهم .

ويرون عقولهم ميزاناً يعرفون به صحيح الحديث من سقيمه معرضين عن منهج المحـدثين من سلف الأمة الذين أرسـوا قواعد عـلم الحديث ومصطلحة .

ولو كانت العقولُ وحـدها ميزاناً لمعرفة الصحيح المنقول مـن سقيمه لكان كل خبر دائراً بين القبول والرد .

نعم فهـؤلاء يرونه موافقاً لعـقولهم فيـقبلونه وآخرون يرونه مخـالفاً لعقولهم فيردونه .

ورضى الله عن عَلىٍّ إذ يقـول : لو أخذ الدين بالعـقل لكان المسح على باطن الخف أولى من المسح على أعلاه !!

فالعقل له دوره وله وظيفـته وله أيضاً حدوده ونور الوحىِ لا يطمسُ نور العقل أبداً بل يباركه ويقويه ويزكيه .

وليس ابداعُ العقل فى الجانب المادى والعلمى دليلاً على صوابه ودقته فى الجانب الدينى الذى لابد فيه من التقيد بنور الوحى .

نعم .. فهـذا هو العقل الروسى الجـبار يدافع عن الكفـر والإلحاد وشعـاره أنه يؤمن بثلاثة ويكفـر بثلاثة ،يؤمن بماركس ولينين وستالين

(٢) رواه النسائى (٧/ ١١٢ ,١١٣) فى تحريم الدم،باب سحرة أهل الكتاب،واسناده صحيح .

،ويكفر بالله وبالدين وبالملكية الخاصة !!!

وهذا هو العـقل الأمريـكى الجبـار يدافع عن الشـذوذ الجنسى وعن زواج الرجل للرجل وعن العنصرية اللونيـة البغضيـة وما أحداث لوس أنجلوس عنا ببعيد !!!

وهذا هو العقل اليونانى يدافع عن الدعارة !!!

وهذا هو العقل الرومانى يدافع عن مصارعة الثيران !!!

وهذا هو العقل الهندى يدافع عن عبادة البقر !!!

وهذا هو العـقل العـربى فى جاهليتـه الأولى يدافع عن وأد البنات وهن أحياء !!

وهذا هو العـقل العـربى يدافع عن الكفـر والإلحاد باسم البـعـثيـة والقومية فيقول قائلهم:

أمنتُ بالبعث رباً لا شريك له .. وبالعروبة ديناً ماله ثان!!!

ويقول آخر :

هبونى عيداً يجعل العرب أمة   وسيروا بجثمانى على دين برهم
سـلام على كفـرٍ يوحـد بيننا   وأهــلا وسهــلا بعدها بجهـنم

هذا هو العقل البشرى الذى فَجَّر الذَّرة فى الجانب المادى يفجر الكفر والإلحاد والزندقة فى الجانب الدينى!!!

هذا هو العـقل البشرى الذى غـاص فى أعمـاق البحـار يغوص فى أعماق الكفر والشرك والأوحال!!!

فـالعقل له حـدوده وله دوره ولا ينبغى أن يتـعدى هذه الحـدود أو

يتخطاها وأن يحكم على النصوص الصحيحة الصريحة بعقله القاصر وحكمه الضيق .

فالذين ردّوا حديث سحر النبى ﷺ ادَّعوا بأن الحديث باطل ومقدوح فى سنده والحديث مخرج فى أصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل فى صحيح البخارى ومسلم .

وإذا وجدت الحديث قد اتفق عليه الشيخان فإنه يكون فى ذروة قمم الصحة، وإذا وجدت الرجل يطعن فى حديث رواه الشيخان فاعلم بأن بضاعته فى علم الحديث مزجاه.. هذا إن أَحْسَنَّا الظن به !!

أما دعواهم بأن الحديث يقدحُ فى مقام النبوة ويتنافى مع العصمة التى منحها الله لنبيه فى قوله ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]

وأن هذا الحديث يصدق المشركين الذين اتهموا الرسول بأنه مسحور كما قال الله عز وجل منهم : ﴿ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً (٤٧) ﴾ . [الاسراء: ٤٧]

والجواب على هذا أن الرسول ﷺ معصوم باتفاق فى جانب التبليغ والتشريع : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) ﴾ [النجم: ٤]

وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية كأنواع المرض والآلام والإصابة فى المعارك فهذا لا يقدح فى مقام النبوة ولا ينافى العصمة وجميع الأنبياء يعتريهم من ذلك ما يعترى البشر جميعاً :

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [ابراهيم: ١١]

وقال جل وعلا مخاطباً رسول الله ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠]

والسحر علة من علل الدنيا ومن أمراضها كسائر الأمراض .

وهذه قدَّر الله أن تكون للنبى ﷺ كما تكون لغيره.

فقد أثَّرت فيه الحُمَّى وأثر فيه السُّم وجرح وجهه فى غزوة أحد، وكُسرت رُباعيته.

وسبقه من إخوانه من الرسل من قُتل، ومن عذِّب، وأوذى.

وفى سنن الترمذى وقال حسن صحيح من حديث سعد رضى الله عنه قال: يا رسول الله أى الناس أشد بلاءً؟ قال: « **الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صُلْباً اشتدَّ بلاؤُه، وإن كان فى دينه رقَّةٌ ابتلاه على حسب دينه، فما يبرح البلاءُ بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة** »[1].

وأما قولهم بأنه موافق لقول المشركين : ﴿ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان: ٨]

---

(١) رواه الترمذى رقم (٢٤٠٠) فى الزهد، باب ما جاء فى الصبر على البلاء ، وقال الترمذى حسن صحيح وهو كما قال ورواه أيضاً أحمد والدارمى وابن ماجة وابن حبان والحاكم وغيرهم .

فمن المعلوم لكل أحـد أن المشركين أرادوا بذلك أن ما يتلوه مـحمدٌ من قـرآن نزل عليه من عند اللـه إنما هو سحـر يفرق بين الإبن وأبيـه والأخ وأخيه والزوج وزوجه .

كما حكى منهم ذلك فى سورة المدثـر حكاية عن الوليد بن المغيرة :

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) ﴾ [المدثر :١٨ ـ ٢٥]

ويبقـى لنا أن نتحـدث عن حكم السحـر وحدِّ الساحـر وعن طرق الوقاية من السحر وإبطاله وهذا موضـوعنا فى اللقاء القادم إن شاء الله جل وعلا .

وصلى الله وسلم على محمد ﷺ .

. . . . . الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

« السحر وعلاجه »

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

[الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١]

أما بعد :-

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكلا ضلالة فى النار .

أحبتى فى الله :ـ

هذا هو لقاؤنا الثالث مع السبع الموبقات التى حذر منها النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **اجتنبوا السبع الموبقات** » قالوا يا رسول الله وما هُنَّ قال « **الشرك بالله والسحر وقتلُ النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكلُ الربا وأكلُ مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات** »(1).

ولا زال حديثنا عن السحر وأحكامه.

ولقد تحدثنا فى اللقاء الماضى عن السحر لغة واصطلاحاً وعن حقيقة السحر وأنواعه ثم أجبنا على سؤال هام ألا وهو هل سحر النبى ﷺ؟!

ونحن اليوم على موعد مع العنصرين الآخرين من هذا الموضوع

---

(1) رواه البخارى (٥/ ٢٩٤) فى الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾ ، وفى الطب، باب الشرك والسحر من الموبقات، وفى المحاربين، باب رمى المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) فى الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) فى الوصايا، باب ما جاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم، والنسائى (٦/ ٢٥٧) فى الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم .

وهما: حكمُ السحر وحسدُّ الساحر.

وأخيراً: علاجُ السحرِ والوقاية منه .

أما عن حكم السحر .

فقد قال الحافظ ابن حجر :

وقد دلت آية البقرة وهى قول الله تعالى:

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]

على أن السحر كفرٌ ومتعلمه كافرُ أى الساحر وهو واضح فى بعض الأنواع وهو التعبُد للشياطين أو للكواكب وأما النوع الآخر الذى هو من باب الشعوذة فلا يكَّفر به أصلاً .

وهنا يثور سؤال خطير وهو: من الذى كفَّر سليمانَ ولماذا ؟

وأود أن أتوقف قليلاً مع آيات السحر فى سورة البقرة باعتبارها العمدةُ فى الأحكام التى تتعلق بالسحر ولأن بعض كتب التفسير قد شحنت بكثير من الأخبار الموضوعة المكذوبة فى تفسير هذه الآيات .

وسببُ نزول هذه الآيات أن الله تعالى أنزل إلى بنى إسرائيل شريعة مباركة طيبة هى شريعة التوراة فتركوها ونبذوها واشتغلوا بالسحر الذى يعبدّهم للشيطان!!

فلما جاءتهم الشريعة الغراء التى أنزلها الله على رسوله محمد ﷺ استمروا على ضلالهم فى أتباع السحر والإعراض عن الشريعة وزعموا

أن نبى الله سليمان إنما سُخرت له الجن والإنس والطير والريح بالسحر فأنزل الله هذه الآيات ذاماً لهم مبيناً كفرهم وضلالهم مبرئاً عبده ونبيه سليمان مما رماه به أهلُ الضلال والبهتان.

وذكر ابن الجوزى فى زاد المسير قولاً عن ابن اسحاق فى سبب نزولها فقال: إنه لما ذكر سليمان فى القرآن قالت يهود المدينة ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبياً ؟ والله ما كان إلا ساحراً فنزلت الآية

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى[1]:

اختلف فى المراد بالآية فقيل إن سليمان كان قد جمع كتب السحر والكهانة فدفنها تحت كرسيه فلم يكن أحد من الشياطين ليستطيع أن يدنوَ من الكرسى فلما مات سليمان وذهبت العلماء الذين يعرفون الأمر جاءهم الشيطان فى صورة إنسان فقال لليهود هل أدلكم على كنز سليمان الذى لا نظير له ؟!

قالوا: نعم.

قال: فأحضروا تحت الكرسى فحضروا فوجدوا تلك الكتب .

فقال لهم: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس بهذا فَفَشَا بينهم أن سليمان كان ساحراً .

فلما نزل القرآن يذكر سليمان فى الأنبياء أنكرت اليهود ذلك وقالوا ألا تعجبون لمحمد يزعم أن ابن داود كان نبياً؟والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت هذه الآية.

---

(١) انظر فتح البارى للحافظ ابن حجر (١٠/ ٢٢٣) ط دار المعرفة بيروت

والأثر أخرجه الطبرى وغيره عن السُدى ومن طريق سعيد بن جبير نحوه بسندٍ صحيح ومن طريق عمران بن الحارث عن ابن عباس موصولاً بمعناه .

وأما ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون فى **قصة هاروت** وماروت وماروى عن على وابن عباس وغيرهما فهذا كله من كذب اليهود وافترائهم ولم يُنقل فى هذا خبرُ صحيحُ عن رسول الله ﷺ .

يقول الحافظ ابن كثير:[١]

والأحاديث والآثار الواردة فى قصة هاروت وماروت حاصلها راجع فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل اذ ليس فيها حديثُ مرفوع صحيحُ متصلُ الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى .

وظاهرُ سياق القرآن هو إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال

وأما تعليمُ الملكين السحرَ للناس بصريح النص القرآنى فهذا من باب الفتنة والاختبار والابتلاء .

ولله أن يختبر عباده بما يشاء وقد خلق الله إبليسُ الذى هو أصلُ الشر كله ونهى العباد عن متابعته وحذر منه واختبر جيش طالوت بعدم الشربِ من النهر والملكان ليسا بعاصيينّ لله فى حال تعليمهما السحرَ

---

(١) تفسير القرآن لابن كثير : [١/٢٤٨] .

للناس بل هما مطيعان لله، وذلك أنهما مكلفان بهذا من الله تعالى ابتلاءً واختباراً من الله لعباده .

والخلاصة أن الآية قد دلت على أن السحر كفر وأن الساحر كافر وهذا بلا خوف متعلق بالسحر الحقيقى الذى يعتمد فيه الساحر على الكفر بالله العظيم والاستعانة بعبادة الجن والشياطين والنجوم والكواكب وكلما ازداد الساحر كفراً أو شركاً ازداد الجنى والشيطان له طاعة.

ويقول حافظ حكمى فى المعارج:

وقد عُلم أن السحر لا يُعمل إلا مع كفر بالله وهذا معلوم من سبب نزول الآية .

ويقول الإمام النووى رحمه الله تعالى:

عملُ السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع وقد عدَّه النبى ﷺ من السبع الموبقات ومنه ما يكون كفراً ومنه مالا يكون كفراً بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر فهو كفر وإلا فلا .

وقال القرطبى: قال أهل الصناعة إن السحر لا يتم إلا مع الكفر والشرك أو التعظيم للشيطان فالسحر إذن دال على الكفر على هذا التقدير.

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد:

«**لما كان السحر من أنواع الشرك إذ لا يتأتى السحر بدون الشرك أدخله المصنف فى كتاب التوحيد ليبين ذلك تحذيراً**»،كما ذكر غيره من أنواع الشرك .

وقال ابن عابدين:

ولعل ما نُقل عن الأصحاب أى القول بكفر الساحر مبنى على أن السحر لا يتم إلا بما هو كفر كما يفيده قوله تعالى: ﴿ **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر** ﴾.

ومن ثم كان حَدُّ الساحر فى الإسلام هو القتل.

وفى سنن أبى داود عن بجالة بن عَبَدَه قال:

كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة[1].

بجالة بنُ عُبَدَة، هو التميمى العنبرى تابعى ثقة .

« **حدٌّ الساحر ضربه بالسيف** » فهو حديث ضعيف

وبهذا القول قال مالك وأحمد وأبو حنيفة وقال من الصحابة عمرو عثمان وابن عمر وحفصه وغيرهم.

ولم ير الشافعى القتل للساحر بمجرد السحر إلا من عمل فى سحره ما يبلغ الكفر وهو روايه عن أحمد بن حنبل أيضاً .

وقد يسأل الآن سائل ويقول فلماذا لم يقتل النبى ﷺ لبيد بن الأعصم الذى سحره والجواب أن النبى ﷺ كان بينه وبين يهود .

عهدٌ فلو قتله لنقضيه مع كل ما أظهروه من كيد للمسلمين وطعن فيهم وفى دينهم حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ومن المعلوم أن لبيد بن الأعصم كان حليفاً ليهود وكان مناقضاً كما ثبت فى

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٠٤٣) فى الخراج والإمارة باب فى أخذ الجزية من المجوس وأخرجه أحمد فى مسنده (١/ ١٩٠, ١٩١).

الرواية الصحيحة فى صحيح البخارى من حديث عائشة رضى الله عنها أما حكمُ ساحرِ أهل الكتاب فقد ذهب جمهورَ أهل العلم إلى عدم قتل ساحر أهل الكتاب إلا إذا قتل بسحره .

أما الامام أبو حنيفة فقد قال بوجوب قتل ساحر أهل الكتاب ولم يفرق بينه وبين الساحر المسلم .

وخالف أبو حنيفة الأئمة الثلاثة : أيضاً فى حكم المرأة الساحرة بأنها لا تقتل، أما هم فقالوا بوجوب قتلها ولم يفرقوا بين الرجل والمرأة لعدم وجود الدليل الذى يفرق بينهما.

وقد اختلف العلماء فى توبة الساحر هل تقبل أولا تقبل ؟!

والصحيح إن شاء الله تعالى أنه لم يسد باب التوبة على أحد من خلقه على الإطلاق بل أن المشرك لو تاب تاب الله عليه.

وقد أخبرنا القرآن أن سحرة فرعون كفروا بالله عز وجل وتابوا إلى الله وقبل الله توبتهم .

أحبتى فى الله :

هذا عن حكم السحر وحدٍّ الساحر .

فماذا عن حكم من يذهبُ إلى السحرة والعرافين والكهان :

والجواب من رسول الله ﷺ ففى صحيح مسلم من حديث حفصة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال:

« **من أتى عرافاً فسأله عن شئ** ،(وفى لفظ أحمد) **فصدقه بما يقول**

،لم تقبل له صلاة أربعين يوماً »[١].

وفى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد والبيهقى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى وصححه شيخنا الألبانى فى الإرواء من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

« من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »[٢] .

قال صاحب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدق العراف أو الكاهن بأى وجه كان .

وفى الحديث الذى رواه البزار باسناد جيد كما قال الحافظ فى الفتح ورواه الطبرانى فى الأوسط باسناد حسن وهذا لفظ رواية البزار عن عمران بن حصين أن النبى ﷺ قال:

« ليس منا من تطيّر أو تطيْر له أو تكهن أو تُكُهِّن له أو تسحر أو سُحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »[٣] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٣٠) فى السلام باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

(٢) رواه أحمد والبيهقى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وصححه شيخنا الألبانى فى الأرواء رقم (٢٠٠٦) وهو في صحيح الجامع (٥٩٤٢) .

(٣) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط فى تخريج زاد المعاد: أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩) من حديث أبى هريرة وإسناده صحيح وصححه الحاكم (١/ ٨)وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٤٣٥) .

قال صاحب فتح المجيد: قـوله: (ليس منا) فيه: وعيد شديد يدل على أن هذه الأمور من الكبائر .

فمن هو العراف ومن هو الكاهن ؟

قال البغوى :

العراف هو الذى يدعى معرفة الأمور بمقـدمات يستدل بها على على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك .

وقال شـيخ الإسـلام ابن تيمـية : إن العـراف اسمُ للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال الإمام أحمد : العرافة طَرف من السحر والساحرُ.

وقال أبو السعادات : العراف هو المنجم .

أما الكاهن فهو الذى يّدعى علم الغيب .

وهنا يثور فى الصدر سؤال قد يستحى صاحبه أن يسأل عنه ألا وهو ولكن بعض هؤلاء العـرّافين والكُـهّان قـد يخبـرون عن شئ فـيكون صحيحاً ويقع كما أخبروا تماماً فما تفسير هذا ؟

ونقـول لقد سـئل رسول الله هذا السـؤال ففى صـحيح مـسلم من حديث عائشة قالت سأل أناسٌ رسولُ الله عن الكهان.

فقال لهم رسولُ الله ﷺ : «**ليسوا بشئ**»

قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثونا أحياناً الشئ يكون حقاً ؟

فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنّىُّ فـيقذفها** ، وفى رواية ـ **فيـقرُّها فى أذُن وليِّه قرَّ الدجـاجة** [أى يرددهـا فى أذن

الكاهن] **فيخلطون فيها مائة كذبة »**[1].

أجبتم في الله :

ليس يظن أحد أن التنجيم والكهانة والسحر أمر مقصور على بلاد العرب المسلمين كلا !! بل هو أمر منتشر فى أكثر الدول .

ولقد نشرت جريدة المسلمون فى عددها الخامس بعد المائتين أن الرئيس الأمريكى ريجان وزوجته كانا يستعينان بالمنجمة « **جوان كويجلى** » فى تحديد جدول الأعمال واتخاذ بعض القرارات .

وكان الرئيس الأندونيسى (سوهارتو) يجتمع بانتظام بالروحانيين والمشعوذين وكان أحدهم يُقيم بصفة مستمرة فى قصر الرئاسة .

واستشار الرئيس الفرنسى السابق جيسكار ديستان قارئاً للطالع فى انتخابات الرئاسة لعام ١٩٨٤ .

ومن أطرف ما ذكرته الجريدة أن الخواجات أخيراً صمموا جهازاً فى حجم الآلة الحاسبة وأطلقوا عليه اسم العراف الألكترونى وتقوم فكرته على وجود دورة بيلوجية ودورة نفسية وأخرى عصبية تبدأ بمولد الإنسان فإذا أدخلت تاريخ ميلادك يقوم العرّاف الالكترونى بحساب ثلاث دورات لك.

إحداها تعين كل يوماً والأخرى كل شهر والأخيرة متغيرة ويحدد لك

---

(١) رواه البخارى رقم (٥٧٦٢) فى الطب، باب الكهانة، وفى الأدب، باب قول الرجل للشئ: ليس بشئ وفى التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم، ومسلم رقم (٢٢٢٨) فى السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان .

بناء على ذلك أيام التكامل العصبى والاستقرار الذهنى بحيث تستطيع اتخاذ القرارات الهامة وأموراً أخرى كثيرة يحددها لك الدجال الإلكترونى!!!

وأخيراً نحنى جباهنا ذلاً وشكراً لله جل وعلا أن جعلنا موحدين نعلم يقيناً أن الأمر كله لله وأن الملك كله لله وأنه لا يقع شئ فى هذا الكون كله إلا بأمره وتحت سمعه وبصره بل وما من ورقة تسقط من شجرة فى هذا الكون كله إلا بعلمه جلا وعلا .

قال تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩) ﴾ [الأنعام: ٥٩]

نعلم يقينا أنه لا تستطيع قوة على ظهر هذه الأرض أن تضر ولا تنفع إلا بإذن الله جل وعلا.

والأصل فى هذا كله قول الله جل وعلا والنص يريح القلوب المطمئنة ويطمئن النفوس الحائرة .

قال تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ﴾

[البقرة: ١٠٢]

الله أكبر ... ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ولو اجتمع سحرة أهل الأرض لا يستطيعون أن يؤثروا بسحرهم فى مخلوق إلا بإذن الله .

فَوجِّه قلبك إلى ملك الملوك وجبار السموات والأرض وتوكل عليه وثق به فهو المرتجى وهو الملجأ والملاذ ولا حول ولا قوة إلا به .

من توكل عليه كفاه ومن اعتصم به نجاه ومن فَوَّض إليه الأمر هداه **قال تعالى: ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾**

وقال تعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾

يا صاحب الهم إن الهم منفرج .. ابشر بخير فإن الفارج الله .

ومن أجمل ما قاله الإمام ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى كتابه القيم تلبيس إبليس قال حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا ؟

قال التلميذ : أجاهده .

قال الشيخ : فإن عاد ؟! قال: أجاهده .

قال الشيخ: فإن عاد ؟! فقال: أجاهده .

فقال الشيخ: هذا يطول يا بنى ولكن إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور فماذا تصنع ؟

قال: أجاهده قال: يا بنى هذا أمر يطول ،استعن برب الغنم يكفك كلابه .

فاستعن بالله أيها الحبيب والجأ إليه فهذا هو الحصن الحصين والملاذ المكين ولما كان الله هو خالقنا فتحصن به هو الذى يعلم ضعفنا وعجزنا فقد تفضل علينا بحصون وحروز ولكننا كثيراً ما نغفل عن الدواء إلا إذا حل بنا الداء فهيًّا إلى الحصون والحروز التى نتقى بها شر السحر

والسحرة .

وذلكم بعد جلسة الاستراحة وأقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم

أحبتى فى الله :

إن أعظم طريق للوقاية من السحر ومس الجن وربط الرجل عن زوجته ما يلى :

أولاً : تحقيق التوحيد لله العزيز الحميد وإخلاص العبودية لله جل وعلا والتوكل عليه تبارك وتعالى.

فقلب الموحد قد أشرق فيه مصباح التوحيد وأزهر فيه نور الإيمان ومن ثم خرج منه الخوف من كل أحد إلا من الله جل وعلا.

بل لا يفرد بالمحبة والخوف إلا الله .

صاحب هذا القلب كما يقول ابن تيمية : فى جنة وهو فى الدنيا .. فى جنة وهو فى البرزخ .. فى جنه وهو فى الآخرة .

إن قوة الإيمان فى القلب تضعف الشيطان وكلما زاد إيمان العبد وأخلص العبادة لله ضعف تسلط الشيطان عليه .

فها هو فاروق الأمة عمر رضى الله عنه كان الشيطان يهرب منه كما جاء فى البخارى ومسلم من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: استأذن عمرُ على النبى ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ـ وفى رواية : يسألنه ويستكثرنه ـ عاليةً أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر قمن يَبْتَدِرْنَ الحجاب ،فأذن له النبى ﷺ،فدخل عمر والنبى ﷺ يضحك.

فقال عـمر: أضحك الله سنك(*)، بأبى أنت وأمى مـا أضـحكك ؟ قال: « **عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى ،فلما سـمعن صوتك ابتدرن الحجاب** ».

قال، عـمر: فأنت يا رسـول الله لأحق أن يهبن ،ثم قال عـمر: أى عدوات أنفسهن ،أتهبننى ولا تهبن النبى ﷺ ؟

قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من النبى ﷺ.

فقـال رسول الله ﷺ: « **إيه يا ابن الخطـاب، والذى نفـسى بيـده مـا لقيك الشيطان سالكا فجاً إلا سلك فجاً غير فجك**[1] » .

والفج : المسلك والطريق فـالشيطان يهـرب ويفر حـتى من الطريق الذى يسير فيه عمر هرباً من قوة إيمانه رضى الله عنه .

وساق ابن الجوزى فى كـتابه القيم تلبيس إبليس قصـة تبين ما نقول بوضوح .

قال : كانت شجرة تُعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال: لأقطعن هذه الشـجرة فـجاء ليـقطعهـا **غضـباً لله** فلقـيـه إبـليس فى صـورة

(*) قال الحافظ فى الفتح : لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك ،بل لازمه وهو السرور، أو نفى ضد لازمه وهو الحزن .

(١) رواه البخـارى (٧/ ٣٧) فى فضائل أصـحاب النبى ﷺ، باب مناقب عـمر بن الخطاب رضى الله عنـه، وفى بدء الخلق باب صـفـة إبليس وجنوده، وفى الأدب، باب الـتـبـسم والضحك، ومسلم رقم (٢٣٩٦) فى فـضائل الصحابة، باب من فضـائل عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

إنسان، فقال: ما تريد ؟

قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله.

قال: إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟

قال: لأقطعنها، فقال له الشيطان : هل لك فيما هو خير لك !! لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك !!

قال : فمن أين لى ذلك ؟

قال : أنا لك .

فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً ، فقام غضباً ليقطعها فتمثل له الشيطان فى صورته وقال: ما تريد ؟

قال: أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله تعالى .

قال: كذبت مالك إلى ذلك سبيل.

فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد أن يقتله، قال: أتدرى من أنا؟أنا الشيطان جئت أول مرة غضباً لله فلم يكن لى عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها، فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك !!

فتدبر يا عبد الله !!

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾

[النحل: ٩٩ ـ ١٠٠]

فإن الشيطان لا سلطان له عليهم فقال سبحانه :
﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر : ٤٢]

ثانياً : كثرة ذكر الله جل وعلا :

فالذكر يضعف الشيطان ويقوى الإيمان ويرضى الرحمن وهو الركن الركين والحصن الحصين الذى يتحصن به الإنسان من الشيطان الرجيم .

وفى حديث الحارث الأشعرى الطويل وهو حديث صحيح أن النبى ﷺ قال : « .. **وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين أحرز نفسه منهم وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله عز وجل**»[1] .

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه أن الحبيب النبى قال :

« **مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت** »[2]

---

(١) رواه الترمذى رقم (٢٧٦٧ فى الأمثال، باب ما جاء فى مثل الصلاة والصيام والصدقة، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح غريب وهو كما قال وأخرجه أيضاً ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما والحاكم فى المستدرك وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الترغيب (٥٥٣) وصحيح الجامع (١٧٢٤).

(٢) رواه البخارى رقم(٦٤٠٧) فى الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، ومسلم رقم (٧٧٩) فى صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة فى بيته .

ثالثاً: قراءة سورة البقرة

ففى صـحيح مسلم عن أبـى هريرة أن النبى قال: « ... **لا تجـعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذى تُقرأ فيه سورة البقرة** » [١]

رابعاً : قراءة آية الكرسى إذا أويت إلى فراشك .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمـضان فـأتانى أتٍ فجـعل يحثـوا من الطعـام فأخـذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى محـتاج وعلىّ عيالٌ ولى حاجة شديدة قال: فخليتُ عنه فـأصبحتُ فقال النبى ﷺ : « **يا أبا هريرة مـا فعل أسيرك البارحة ؟** »

قال: قلت يا رسول الله شكا حـاجة شديدة وعيالاً فرحمـته فخليت سبيله .

قال: « **أما إنه قد كذبك وسيعود** ».

فعرفت أنه سيـعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود فـرصدته فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه مسـلم رقم (٧٨٠) فى صلاة المسـافرين، باب استحـباب صـلاة النافلة فى بيـته وجوازها فى المسـجد، والترمـذى رقم (٢٨٨٠) فى ثواب القرآن، باب ما جـاء فى فضل سورة البقرة وأية الكرسى .

قال: دعنى فإنى محتاج وعلىّ عيال، لا أعود.

فرحمته فخليت سبيله فأصبحت.

فقال لى رسول الله ﷺ: « **يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟** ».

قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله.

قال: « **أما إنه قد كذبك وسيعود** ».

فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطعام فأخذته.

فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ثم تعود.

قال: دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها.

قلت: ما هن ؟

قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى «**الله لا إله إلا هو الحى القيوم**» حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح.

فخليت سبيله فأصبحت فقال لى رسول الله ﷺ: « **ما فعل أسيرك البارحة؟** ».

قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله.

قال: «**ما هى ؟**»

قلت قال لى، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى

تختم الآية : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ وقال لى :لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ،وكان أحرص شئ على الخير فقال النبى ﷺ: « **أما إنه قد صدقك وهو كذوب ،تعلم من تخاطب مُذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال:لا قال: «ذاك شيطان»**[(١)] .

خامساً: قراءة الآيتين الآخيرتين من سورة البقرة .

من قوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾ إلي آخر السورة .

ففى صحيح البخارى من حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ قال:
« **من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه** »[(٢)]
أى من كل شر وسوء من الشياطين .

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٣١١) فى الوكالة،باب إذا وكَّلَ رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجلٍ مسمى جاز. وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (١٠/ ١١٧، ١١٨) من حديث أبى بن كعب وقال:رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

(٢) رواه البخارى (٩/ ٥٠) فى فضائل القرآن،باب فضل سورة البقرة،وباب من لم ير بأساً أن يقول:سورة البقرة،وباب فى كم يقرأ القرآن،وفى المغازى،باب شهود الملائكة بدراً،ومسلم رقم (٨٠٨) فى صلاة المسافرين،باب فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة،والترمذى رقم (٢٨٨٤) فى ثواب القرآن،وأبو داود رقم (١٣٩٧) فى الصلاة ،باب تحزيب القرآن .

سادساً: قراءة المعوذات

ففى البخـارى عن عائشة أن النبى كان إذا آوى إلى فـراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهـما فقرأ فيهما: ﴿**قل هو الله أحـد**﴾وقل: ﴿**أعوذ برب الفلق**﴾و﴿**قل أعـوذ برب الناس**﴾ثم يمسح بهـما ما اسـتطاع من جسـده يبدأ بهما عـلى رأسه ووجهه ومـا أقبل من جسـده يفعل ذلك ثلاث مرات[1] .

وعن عبداللـه بن خبيب رضى الله عنه قال: خـرجنا فى ليلة مطيرة وظلمة شديدة فطلبنا رسول الله ﷺ يصلى لنا فأدركته فقال: «**قل فَلَمْ**» أقل شيئاً. ثم قال: «**قل**» فلم أقل شيئاً، قال: «**قل**» فقلت: ما أقول ؟

قال: « **قل هو الله أحـد، والمعوذتين، حـين تمسى وتصبح ثلاث مـرات يكفيك من كل شئ** »[٢] .

وفى رواية « **ما تعوذ الناس بأفضل منها** » وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: بينا أنا أقود برسـول الله ﷺ راحلته فى غزوة إذ قال: « **يا عـقـبـة قل** » فاسـتمـعت، ثم قال: «**يا عـقـبـة قل**» فاستمعت، فقالها الثالثة: فقلت: ما أقول؟ فقال: « **قل هو اللـه أحـد** » فقرأ السـورة حتى

---

(١) رواه البـخارى رقم (٥٧٤٨) فى الطب باب الـنفث فى الرقيـة، وأبو داود رقم (٥٠٥٦) والترمذى (٥/ ٣٤٠٢).

(٢) رواه النسائى (٨/ ٢٥٠، ٢٥١) فى الاسـتعاذة فى فـاتحته، وصحـحه شيـخنا الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤٠٦).

ختمها، ثم قرأ « **قل أعوذ برب الفلق** » وقرأت معه حتى ختمها ثم قرأ: « **قل أعوذ برب الناس** » فقرأت معه حتى ختمها ثم قال: « **ما تعوَّذ بمثلهن أحدٌ** »[1].

سابعاً : روى مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

« **من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنه ومُحيَت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك** »[2].

وأخيراً روى البخارى من حديث سعد بن أبى وقاص أن النبى ﷺ قال: «**من تصبَّحَ سبعُ تمرات عجوة لم تُضره ذلك اليوم سمٌ ولا**

(١) رواه مسلم رقم (٨١٤) فى صلاة المسافرين، باب فضل قراءة المعوذتين، والترمذى رقم (٢٩٠٤)،(٢٩٠٥) فى ثواب القرآن، باب ما جاء فى المعوذتين، وأبو داود رقم (١٤٦٢) فى الصلاة، باب فى المعوذتين، والنسائى (٢/ ١٥٨) فى افتتاح الصلاة، باب القراءة فى الصبح بالمعوذتين، وباب الفضل فى قراءة المعوذتين، (٨/ ٢٥١ ـ ٢٥٤) فى الاستعاذة فى فاتحته، ورواه أيضاً أحمد فى المسند (٤/ ١٤٤ , ١٥٠ , ١٥١ , ١٥٢ , ١٥٣ , ١٥٥ ، ١٥٨ ، ٢٠١).

(٢) رواه البخارى رقم (٦٤٠٣) فى الدعوات، باب فضل التهليل، وفى بدء الخلق، باب صفة إبليس، ومسلم رقم (٢٦٩١) فى الذكر، باب فضل التهليل والتسبيح، والموطأ (١/ ٢٠٦) فى القرآن، باب فى ذكر الله تبارك وتعالى، والترمذى رقم (٣٤٦٤) فى الدعوات باب رقم (٦١).

سحر»[1] وفى رواية **«من تمر العالية»** وهى فى المدينة .

هذه هى الحصون والحروز التى يتقى بها الإنسان من السحر والمس والربط بإذن الله جل وعلا .

فما هو علاج من سُحرَ فعلاً :

أولاً: لابد أن يحافظ ابتداءً على هذه الأذكار التى ذكرناها آنفاً .

ثانياً : حلٌّ السحر من المسحور بالرقى الشرعية كما قال ابن القيم

الأولُ : حلُ السحر بسحر مثله وهذا هو الذى من عمل الشيطان فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عملَه عن المسحور .[وهذه من عمل الشيطان بلا شك]

أما النوع الثانى : هو النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات المباحة فهذا جائز .

هذا ما رواه مسلم أن النبى ﷺ قال:(**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**)[2] .

وفيه أيضاً قال: « **اعرضوا على رقاكم ولا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك** »[3].

---

(١) رواه البخارى رقم (٥٧٦٨, ٥٧٦٩) فى الطب باب الدواء بالعجوة للسحر .

(٢) رواه مسلم رقم (٢١٩٩) فى السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة

(٣) رواه مسلم رقم (٢٢٠٠) فى السلام، باب لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك، وأبو داود رقم (٣٨٨٦) فى الطب، باب ما جاء فى الرقى .

وفى صحيح البخارى عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب رجل به طبٌّ أى سحر أو يؤخذ عن امرأته (أى يربط) أيحلُّ عنه أو يُنْشر ؟

قـال : لا بأس به، إنما يريدون به الإصـلاح، فأمـا مـا ينفع فلم يُنه عنه»[1].

وفى مجـموع فتاوى الشـيخ عبدالعزيز بن باز أنه قـال : من علاج السحر بعد وقوعه وهو علاج نافع بإذن الله للرجل إذا حُبس عن جماع أهله .

ثم قـال الشيخ ابن باز أن يأخـذ سـبعُ ورقات من السـدر الأخضـر ويدقها بحجر أو نحوه ويجـعلها فى إناء ويصب عليه من الماء ما يكفيه للغسل ويقرأ فيها : « **آية الكرسى** » « **وقل يا أيها الـكافرون** » و « **قل هو الله أحد** » و« **قل أعوذ برب الفلق** »و « **قل أعوذ برب الناس** ».

وأن يقـرأ آيات السحـر فى سورة الأعـراف وهى قوله سـبحـانه : **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾**

[الأعراف : ١١٧ : ١١٩]

والآيات فى سورة يونس وهى قوله سبحانه : **﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم**

(١) رواه البخارى معلقاً فى الطب، باب هل يستخرج السحر ؟

مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يونس: ٧٩ : ٨٢]

والآيات التى فى سورة طه : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه: ٦٥ : ٦٩]

يقول الشيخ ابن باز:

بعد قراءة ما ذكر فى الماء يشربُ منه ثلاث مرات ويغتسل بالباقى وإن دعت الحاجة لاستعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول إن شاء الله.

. . . . . . الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

« قتل النفس التي حرم الله »

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

[الأحزاب: ٧٠-٧١]

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

أحبتى فى الله :

هذا هو لقاؤنا الرابع مع السبع الموبقات التى حذر منها النبى ﷺ. في الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

« اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله وما هن ؟ قال: الشرك بالله،والسحر،وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق،وأكلُ الربا،وأكلُ مال اليتيم،والتولى يوم الزحف،وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » [1]

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الثالثة فى هذا الحديث ألا وهى قتلُ النفس التى حرم الله إلا بالحق.

ونظراً لطول الموضوع فسوف أركز حديثى مع حضراتكم فى العناصر التالية:

أولاً: حرمة النفس والدماء عند الله جل وعلا.

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٦٦) فى الوصايا،باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾ ،وفى الطب ،باب الشرك والسحر من الموبقات ،وفى المحاربين،باب رمى المحصنا،ومسلم رقم(٨٩) فى الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها ،وأبو داود رقم (٢٨٧٤) فى الوصايا ،باب ما جاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم والنسائى (٦/٢٥٧) فى الوصايا،باب اجتناب أكل مال اليتيم .

ثانياً: حكم من قتل نفسه فمات منتحراً.
ثالثاً: حكم القتل الخطأ.
رابعاً: هل للقاتل المتعمد توبة ؟

أولاً: حرمة النفس والدماء عند الله جل وعلا.

أحبتى فى الله:

إن الله عز وجل قد كرم هذا الإنسان تكريماً كبيراً.

خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه.

وأرسل له الرسل ليأخذوا بيديه إلى الحق وأنزل من أجله شريعة محكمة تضمن له السعادة فى الدنيا والآخرة .

وهى المنهج الحق المستقيم الذى يصون الإنسان من الزيغ والانحراف ويحفظه من مزالق الشر ونوازع الهوى .

وهى المورد العذبُ الزلال والمعين الكريم الفياض الذى يشفى صَدره ويُحيى نفسَه ويَروى عقلَه ويحفظُ بدنَه.

ومن أجل هذا فقد ضمنت هذه الشريعة المحكمة جميع الحقوق التى تكرم وتسمو بهذا الإنسان وفى طليعة هذه الحقوق حقُ الحياة . .
وهو حق كبير لا يحل لأحدٍ أن ينتهك حرمته أو أن يستبيح حماه.

بل لقد جعل الإسلام قتل النفس كبيرةً.

كبيرة تأتى بعد كبيرة الشرك بالله عزوجل كما قال الله عز وجل فى

وصف عباد الرحمن .

وليس لأحد البته أن يسلب هذه الحياة إلا خالقُها سبحانه وتعالى أو بأمر منه فى نطاق الحدود التى شرعها لخلقه وهو سبحانه عليم بهم خبير، بما يصلحهُم ويفسدهم إذ يقول سبحانه ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك: ١٤]

والعليم اللطيف الخبير جل وعلا يحرم قتل النفس إلا بالحق فيقول سبحانه: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾ [الأنعام: ١٥١]

ويقول رسوله ﷺ: « **وقتلُ النفس التى حرم الله إلا بالحق** ».

وهذا الحق الذى يبيح قتل النفس محدد واضح لا غموض فيه . . وليس متروكاً للرأى ولا متأثراً بالهوى.

وقد حدده النبى ﷺ فى الحديث الصحيح الذي رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **لا يحلُ دمُ امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفسُ بالنفس، والثيب الزانى، التارك لدينه المفارقُ للجماعة** » [١]

---

(١) رواه البخارى رقم (٦٨٧٨) فى الديات ، باب قول الله تعالى: « النفس بالنفس ، والعين بالعين » ومسلم رقم (١٦٧٦) فى القسامة ، باب ما يباح به دم المسلم ، وأبو دواد رقم (٤٣٥٢) فى الحدود ، باب الحكم فيمن ارتد والترمذى رقم (١٤٠٢) فى الديات ، باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ، والنسائى (٧/ ٩٠، ٩١) فى تحريم الدم باب ذكر ما يحل به دم المسلم ، وفى القسامة ، باب القيود.

فأما الحالة الأولى: فهى القصاص العادل الذى وإن قتل نفساً فقد ضمن الحياة للمجتمع نفسه .

كما قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لعلكم تقون** ﴾ [البقرة:١٧٨-١٧٩]

نعم . . حياةٌ بردع هؤلاء الذين يفكرون مجرد تفكير فى الاعتداء على الناس.

وحياةٌ بكفٍّ أهل المقتول عن الثأر الذى قد لا يقف عند القاتل بل يتعداه إلى أهله ممن لا ذنب لهم ولا جريرة.

وحياة يأمن فيها كل فرد على نفسه لأنه يعلم يقيناً أن هناك قصاصاً عادلاً ينتظر كل من يتعدى حدود الله .

أما الحالة الثانية: التى يجوز فيها القتلُ وبالرجم فهى للثيبِ الزانى الذى رزقه اللهُ بالحلالِ الطيبِ فراح يرتعُ فى مستنقعِ الرذيلةِ العفن. ويقتلُ العزةَ والكرامةَ والمكانةَ لمن لوث شرفهم وانتهك عرضهم.

والحالة الثالثة: التى يجوز فيها القتلُ تكون لمن ترك دينه وارتد بعد أن منَّ الله به عليه.

فالردة بالإجماع سبب لإباحة دم المسلم.

يقول النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى وأحمد عن ابن

عباس: « **من بدَّلَ دينه فاقتلوه** » (١)

هذه هى الحـالات الثلاث التى تبـيح قتل المسلم على يد ولـى الأمر المسلم أو من ينوب عنه.

أما فيما عدا هذه الحـالات فإنه لا يجوز أبداً قتل النفس بل إن الأمر جـد خطير وكـيف لا وقـد قال جل وعـلا ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾

[النساء: ٩٣]

وفى صحيح البخارى عن ابن عـمر رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ: « **لا يزال المؤمن فى فسحة من دينه مـا لم يُصب دماً حراماً**». قال: فقال ابن عمر: إن من ورطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفكُ الدم الحرام بغير حِلِّه (٢)

وفي سنن النسـائى من حديث مـعـاوية رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **كلُ ذنب عسى اللهُ أن يغـفره إلا الرجل يقـتل المؤمن متعـمداً ، أو**

---

(١) أخـرجـه البـخـارى رقم (٦٩٢٢) فى اسـتـتـابة المرتدين ، باب حـكم المرتد والمرتدة واستتابتهم فى الجهـاد ، باب لا يعذب بعذاب الله ، والترمذى رقم(١٤٥٨)فى الحدود ، باب مـا جاء فى المرتد ، وأبو داود رقم (٤٣٥١) فى الحـدود،باب الحكم فيـمن ارتد ، والنسائى (٧/ ١٠٤ ,١٠٥) فى تحريم الدم ، باب الحكم فى المرتد ، وأخرجه أيضاً أحمد فى المسند (١/ ٢٨٢).

(٢) رواه البخارى رقم (٦٨٦٢ ، ٦٨٦٣) فى الديات فى فاتحته.

الرجل يموت كافراً » [١]

وفى الحــــديث الذى رواه أبو داود مــن حــديــث أبى الدرداء ورواه الحاكم والنـسائى وأحمـد من حديث مـعاوية وصـحح الحديث شـيخنا الألبانى فى صحيح الجامع أن النبى قال:

« كل ذنب عـسى الله أن يغفـره إلا من مات مـشركـاً أو قتل مـؤمناً متعمداً » [٢]

وفى الحديث الذى رواه النســائى من حديث بريده رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **« قتلُ المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا »** [٣]

الله أكـبر . . فكم يكون عظيـماً عـند الخلق زوال الدنيا على قـدر عظمتها .

فإذا علمنا أن قتل المؤمن أعظم من زوال الدنيا علمنا خطورة وفظاعة القتل العمد بما لا يمكن للغة البشر أن تصفه وقد جمعه من أوتى جوامع الكلم فى هذا اللفظ الوجيز.

وفى الحديــث الذى رواه النسائى والبـخارى في التـاريخ وصحـحه الألبانى من حديث عمرو بن الحمق الخزاعى أن النبى ﷺ قال:

---

(١) أخرجـه النســائى (٧/ ٨١) فى تحريم الدم فى فـاتحتـه وصحـحه شـيخنا الألبـانى فى الصحيحة (٥١١) وهو في صحيح الجامع (٤٥٢٤) صحيح .

(٢) رواه أبو داود رقـم (٤٢٧٠) فى الفتـح ، باب فى تعظيم قتل المؤمن وصـحـحه شـيخنا الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٥٢٤) والصحيحة رقم (٥١١).

(٣) رواه النسائى (٧/ ١٨) فى تحريم الدم ، باب تعظيم الدم ،وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٣٦١).

«من أمَّنَ رجلاً على دمه فقتله فأنا برئ من القاتل وإن كان المقتول كافراً»(١)

عن عبيد الله بن عدى أن المقداد بن عمرو الكندى - وكان حليفاً لبنى زهرة وكان ممن شهد بدراً مع النبي ﷺ - أخبره أنه قال لرسول الله ﷺ: **أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا ، فضرب إحدي يدى بالسيف فقطعها ، ثم لاذ منى بشجرة ، فقال: أسلمت لله ، أأقتله يارسول الله بعد أن قالها ؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله فقال: يارسول الله ، قَطَعَ إحدى يدىَّ ، ثم قال ذلك بعدما قطعها ، فقال رسول الله ﷺ:«لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال »** (٢)

وقام النبى ﷺ فى حجة الوداع يبين حرمة هذه الدماء فيقول والحديث فى الصحيحين من حديث ابن أبى بكرة **«أى شهر هذا ؟»** قلنا الله ورسوله أعلم. وهذا من أدب الصحابة رضى الله عنهم، قال فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: **«أليس البلدة؟** قلنا: بلى، قال: **«فأى يوم هذا؟»** قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت، حتى

(١) رواه البخارى معلقاً والنسائى وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٦١٠٣).

(٢) رواه البخارى رقم (٦٨٦٥) فى الديات فى فاتحته ، وفى المغازى ، باب شهود الملائكة بدراً ومسلم رقم (٩٥) فى الإيمان ،باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، وأبو داود رقم (٢٦٤٤) فى الجهاد ، باب على ما يقاتل المشركون ؟

ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «**أليس يوم النحر**» قلنا: بلى يارسول الله قال: «**فإن دِمَاءَكُمْ وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعوا بعدى كفاراً أو ضلالاً يضرب بعضُكم رقابِ بعض ألا ليبلِّغَ الشاهد الغائب**» (١)

ولحرمة هذه الدماء عند الله جل وعلا وأنها ليست رخيصة يسفكها من شاء في أى وقت شاء بل هى عظيمة عند الله جل وعلا.

ولذا فإن أول ما يُقضى فيه يوم القيامة هو الدماء .

كما فى الصحيحين وغيرهما أن النبى ﷺ قال: « **أولُ ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة فى الدماء** » . (٢)

ولا منافاة بين هذا وبين قوله « **أول ما يحاسب به العبدُ الصلاة** »(٣)

---

(١) رواه البخارى رقم (١٧٤١) فى الحج باب الخطبة أيام منى وفى الأضاحى رقم (٥٥٥٠) باب من قال: الأضحى يوم النحر وفى التفسير رقم (٤٦٦٢) باب تفسير سورة براءة ، وفى بدء الخلق رقم (٣١٧٩) باب ما جاء فى سبع أرضين ، وفى الفتن (٧٠٧٨) باب لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، وأخرجه مسلم رقم (١٦٧٩) فى القسامة ، باب تحريم الدماء وأبو داود رقم (١٩٤٧) فى الحج باب الأشهر الحرام.

(٢) رواه البخارى رقم (٦٨٦٤) فى الديات فى فاتحته ، وفى الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة ومسلم رقم (١٦٧٨) فى القسامة ، باب المجازاة بالدماء فى الآخرة ، والترمذى رقم (١٣٩٦) فى الديات ، باب الحكم فى الدماء ، والنسائى (٨٣١٧) فى تحريم الدم ، باب تعظيم الدم.

(٣) رواه أبو داود رقم (٨٦٤ ، ٨٦٥) فى الصلاة باب قول النبى ﷺ « كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه » وهو فى صحيح الجامع (٢٥٧١).

فهذا حق بينه وبين الله والدماء حق العباد.

وقد ورد عند النسائى وأبو داود من حديث ابن مسعود بلفظ « **أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء** »[١]

ولذلك قال على بن أبى طالب كما فى صحيح البخارى «**أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدى الرحمن جل وعلا للخصومة**»[٢]

يريد قصته في مبارزته هو وصاحبه يوم بدر وفيهم نزل قول الله تعالى ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** ﴾ [الحج: ١٩]

فإذا قامت القيامة وقام الناس جميعاً لرب العالمين ووقفوا فى أرض المحشر حفاة عراةً غُرلا [٣] وقد دنت الشمس من الرؤوس وتصبب العرق على قدر الأعمال وزفرت جهنم وزمجرت وقد جئ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها[٤] وتطايرت الصحف ونصبت الموازين ونودى عليك.

---

(١) صححه شيخنا الألبانى فى الصحيحة ١٧٤٨ وصحيح الجامع (٢٥٧٢).

(٢) رواه البخارى رقم (٤٧٤٤) فى تفسير سورة الحج باب ﴿ **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** ﴾ وفى المغازى باب دعاء النبى ﷺ على كفار قريش ، و(٧/ ٢٣١) فى قصة غزوة بدر.

(٣) رواه البخارى رقم (٦٥٢٧) فى الرقاق ، باب الحشر ، ومسلم رقم (٢٨٥٩) فى الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، والنسائى (٤/ ١١٤) فى الجنائز ، باب البعث.

(٤) رواه مسلم رقم (٢٨٤٢) فى صفة الجنة ، باب من شدة حر نار جهنم ، والترمذى رقم (٢٥٧٦) فى صفة جهنم ، باب ما جاء فى صفة النار.

فقرع النداء قلبك وارتعدت فرائصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك وجاءت الملائكة الموكلة بسوقك إلى الله تعالى.

حتى إذا ما وقفت بين يدى ملك الملوك وجبار السموات والأرض أخذت صحيفتك هذه الصحيفة التى لا تغادر صغيرة ولا كبيرة !!

فانتبه .. يُنادى عليك أيها القاتلُ المجرم **يامن سفكت دماء** الموحدين المؤمنين فتأتى فرداً عارياً لا سلطان لك، ولا مال معك، لتفتدى به وقد أحاط بك من كل ناحية من قتلتهم فى الدنيا وقد تعلقوا به وأوداجهم [أى عروق أعناقهم] تشخب [أى تسيل] دماً ويقولون لله جل وعلا سل هذا القاتل فيم قتلنا كما فى سنن النسائى من حديث ابن عباس وهو حديث حسن قال سمعت النبى يقول:

«**يجئ المقتول متعلقاً بالقاتل تشخب [تسيل] أوداجه دما، فيقول: أى ربِّ سل هذا فيم قتلنى؟**» وفى رواية « **يجئ المقتول بالقاتل يوم القيامة ، ناصيته ورأسه بيده ، وأوداجه تَشْخَبُ دماً ، يقول: يارب ، قتلنى هذا ، حتى يدنيه من العرش** ، قال: فذكروا لابن عباس التوبة فتلا هذه الآية ﴿**ومن يقتل مؤمناً متعمداً**﴾ قال: ما نُسِخَت هذه الآية ولا بدلت، وأنَّى له التوبة؟» [(١)]

الله أكبر ..

---

(١) رواه الترمذى رقم (٣٠٣٢) فى التفسير ، باب ومن سورة النساء ، والنسائى (٧/ ٨٥ ، ٨٧) فى تحريم الدم باب تعظيم الدم ، وإسناده قوى ، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد رقم (٢١٤٢) ، (٢٢٨٣)، وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٣١).

تذكر وقوفك يوم العرض عريانا مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك ياعبد على مهلٍ فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
فلما قرأت ولم تنكر قراءته وأقررت إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه ياملائكتى وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المشركون غدا فى النار يلتهبوا والموحدون فى دار الخلد سكانا

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال لأصحابه يوماً «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «**إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فَيُعْطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقْضَى ما عليه، أُخذ من خطاياهم ثم طرح فى النار**» (١)

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٨١) فى البر ، باب تحرير الظلم ، والترمذى رقم (٢٤٢٠) فى صفة القيامة ، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص.

ثانياً: حكم من قتل نفسه فمات منتحراً

أحبتى فى الله:

ولم ينتف هذا الوعيد الرهيب فى حق من قتل نفسه منتحراً والعياذ بالله بل هو خالد فى النار لما ورد فى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

«من تردَّى من جبل (أى ألقى بنفسه)فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردَّى فيها خالداً مخلداً فيهًا أبداً،ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساهُ فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»[1]

وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله التقى هو والمشركون فاقتتلو، فلما مال النبى ﷺ إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفى أصحاب رسول الله رجل لا يدع لهم شاذَّة ولا فاذَّة إلا اتبعها يضربها بسيفه - فقالوا ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ

---

(١) رواه البخارى رقم (٥٧٧٨) فى الطب ، باب شرب السم والدواء به وما يخاف منه ، ومسلم رقم (١٠٩) فى الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ، والترمذى رقم (٢٠٤٤)،(٣٠٤٥) فى الطب،باب ما جاء فيمن قتل نفسه بسم أو غيره والنسائى (٤/ ٦٦, ٦٧) فى الجنائز،باب ترك الصلاة على من قتل نفسه،وأبو داود رقم (٣٨٧٢) فى الطب،باب فى الأدوية المكروهة.

فلان، فقال رسول الله ﷺ: **«أما إنه من أهل النار»**.

فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبداً.

قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجُرِحَ الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذُبَابَه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى رسول الله فقال: أشهد أنك رسول الله.

قال: **«وما ذاك؟»**.

فقال: الرجلُ الذى ذكرت آنفاً أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به فخرجت فى طلبه حتى جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع سيفه بالأرض وذُبَابَه بين ثدييه (ذبابة السيف: طرف رأسه)، ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله عند ذلك:

«إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة وإنما الأعمال بالخواتيم» (١)

وفى رواية أخرى فى الصحيحين عن أبى هريرة قال: فلما أُخبر النبى أن الرجل قتل نفسه كبر النبى وقال: **«الله أكبر، أشهد أنى عبد الله**

(١) رواه البخارى رقم (٦٦٠٦) فى القدر، باب العمل بالخواتيم، وفى الجهاد، باب لا يقول: فلان شهيد، وفى المغازى، باب غزوة خيبر، وفى الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، ومسلم رقم (١١٢) فى الأيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

ورســـوله ثم أمـــر بلالاً فنادى فى النـاس أنه لن يدخل الجنـة إلا نفسٌ مسلمة وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الكافر » [١]

ثالثاً: حكم القتل الخطأ

وقد بينه الله جل وعلا فى سورة النساء بقوله:

﴿ وَمَا كَـانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُـؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًـا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَـدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِـدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [النساء: ٩٢]

فـالحـالة الأولى: أن يـقع القـتل على مـؤمن أهلـه مـؤمنون فى دار الإسلام.

وفى هذه الحالة يجب تحريرُ رقبـة مؤمنة وديةٌ تسلمُ إلى أهل القتيل فأما تحـرير الرقبة المؤمنة فهـو تعويض للمجتـمع المسلم عن قتل نفس بعتق نفسٍ مؤمنة أخرى.

وأما الدية فتسكين لثائرة نفوس أهل القتيل وشراءٌ لخواطرهم بعدما

---

(١) رواه البخـارى رقم (٣٠٦٢)فى الجهاد ،باب إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الـفاجر ، وفى المغازى ، باب غزوة خيبـر وفى القدر ، باب العمل بالخواتيم ، ومسلم رقم ١١ فى الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

فجعـوا فى قتيلهم وتعـويض لهم عن بعض ما فقدوه إلا أن يـصدَّقوا ويتنازلوا عن هذا الحق تسامحاً وتعاطفاً أ. هـ [1]

الحالة الثانية: أن يقع القتل على مؤمن وأهله مـحاربون للإسلام فى دار الحرب.

وفى هذه الحالة يجب تحرير رقبة مؤمنة لتعويض النفس المؤمنة التى قتلت لكن لا يجوز دفع الدية لقـوم القتيل المحاربين حتى لا يسـتعينوا بهـا على قتـال المسلمين، إذا لا مكان ولا مـجال هنا لاسـترضـاء أهل القتيل لأنهم محاربون وأعداء للإسلام والمسلمين.

أما الحالة الثالثة: فهى أن يقع القـتل على مؤمن أو على غيـر مؤمن قومه معاهدون أى لهم عهد هدنه أو عهد ذمة.

وفى هذه الحـالة يجب أن تدفع الديـة إلى أهله المعـاهدين ولو لم يكن القتيل مؤمناً لأن عهدهم مع المؤمنين يجعل دماءهم مصونه كدماء المسلمين ويجب أيضاً على القاتل أن يعتق رقبة مؤمنة.

هذه هى أحكام القتل الخطأ.

وكان من الواجب علىّ أن أفصل الحديث فى أحكام الدية ومقدارها ولكن لا يتـسع الوقت لهـذا فليـراجـعـه من شـاء فى كتاب الجنايات والديات من كتب الفـقه لعلمائنا الكرام جـزاهم الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

(١) الظلال (٢/ ٧٣٦) .

وأخيراً هل للقاتل المتعمد توبة ؟

اختلف العلماء في هـذه المسألة فلقد روى البخاري عن سـعيد بن جبير قال: اختلف فيها أهل الكوفة فَـرَحَلْتُ فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال هذه الآية ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً** ... ﴾ هى آخر ما ترك وما نسخها شئ.

وفى رواية النسائى يقول سعيد قرأت عليه آية الفرقان ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** ﴾ [الفرقان:٦٨]

قال: هذه مكية نسختها آية مدنية.

وذهب أهل السنة وما عليـه المحققون من علمـاء السلف أن القاتل المتعـمد إن تاب تاب الله عليـه لأن الأخذ بظاهر آية النســاء ومن يقتل مؤمناً متعمـداً ليس بأولى من الأخذ بظاهر قوله تعالى ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ [هود:]

وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ** ﴾ [الشورى: ٢٥]

وقوله تعالى: ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨]

ثم إن الجمع بين آية النساء وآية الفرقان ممكن فلا نسخ ولا تعارض وذلك بحـمل الحكم المطلـق فى آية النسـاء علي الحكم المقـيـد فى آية الفرقـان لا سيمـا وقد اتفقـا فى الحكم والسبب فـيكون معناه: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ**

لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]

﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]

وأما الأحاديث التى تذكر هذا أيضاً فهى كثيرة منها ما رواه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبى قال:

«تبا يعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً،ولا تزنوا،ولا تسرقوا،ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق،فمن وفَّى منكم فأجره علي الله،ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به فهو كفارة له،ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه،فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه،وإن شاء عذبه» (١)

وكذلك حديث أبى سعيد الخدرى فى الصحيحين عن النبى ﷺ قال: « كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فَدُلَّ على راهبٍ ، فأتاه ، فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفساً ، فهل له من توبة ؟ فقال: لا ، فقتله ، فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدُلَّ على رجل عالم ، فقال: إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال: نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا ، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوءٍ ، فانطلق حتى إذا نصَفَ الطريق ، أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت

(١) رواه البخارى رقم (١٨) فى الإيمان ، باب علامة الإيمان حب الأنصار ومسلم رقم (١٧٠٩) فى الحدود ، باب الحدود كفارات لأهلها والترمذى رقم (١٤٣٩) فى الحدود ، باب الحدود كفارة لأهلها ، والنسائى (٧/١٤٧) فى البيعة باب البيعة على فراق المشرك.

لائكة الرحمة: جاء تائباً، مقبلاً إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملك فى صـورة آدمى فجعلوه بينهم ، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهمـا كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة » (١)

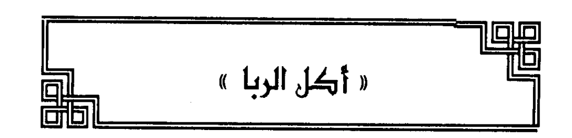
وأخيراً قال علمـاؤنا من قتل مؤمناً متعمداً فـتاب تاب الله عليه أما إن لم يتب وأصر علي الذنب حتى وافى ربه علي الكفر بشؤم المعاصى ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]

اللهم اغفر ذنبنا

. . . . الدعاء

(١) رواه البخارى رقم (٣٤٧٠) فى الأنبياء ، باب مـا ذكر عن بنى إسرائيل ، ومسلم رقم (٢٧٦٦) فى التوبة ، باب قبول توبة القاتل.

بسم الله الرحمن الرحيم



« أكل الربا »

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب : ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

أحبتى فى الله :

فهذا هو لقاءنا الخامس مع السبع الموبقات التى حذر منها النبى ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **اجتنبوا السبع الموبقات ،قالوا: يا رسول الله وما هن؟قال: الشرك بالله ،والسحر ،وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق،وأكل الربا ،وأكل مال اليتيم،والتولى يوم الزحف،وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.** »[1]

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الرابعة فى هذا الحديث ألا وهى أكل الربا وسوف ينتظم حديثى مع حضراتكم عن هذا الموضوع الخطير فى العناصر التالية.

أولا: حملة مرعبة على الربا فى القرآن والسنة.

ثانيا: فما هو الربا؟

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٦٦) فى الوصايا ،باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾ ،وفى الطب باب الشرك والسحر من الموبقات ،وفى المحاربين ،باب رمى المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) فى الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) فى الوصايا، باب ما جاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم، والنسائى (٦/ ٢٥٧) فى الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتم.

ثالثا: الربا فى الجاهلية.
رابعا: ربا البنوك أخبث من ربا الجاهلية.
خامسا: بيوع ربوية محرمه.
سادسا: فهل من توبة ،وما هو الحل؟
فأعيرونى القلوب والأسماع فإن الموضوع جد خطير.

أولا: حملة مرعبة على الربا فى القرآن والسنة.

يقول الله عز وجل فى سورة البقرة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:
﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

أحبتى فى الله :

لقد أعلن القرآن حملة مفزعة وتهديدا مرعبا على النظام الربوي المقيت لأنه نظام يسحق البشرية ــ سحقا، ويشقيها فى حياتها أفرادا وجماعات، ودولا وشعوبا، لمصلحة حفنة عفنة من المرابين الكبار.

وينتهى إلى تركيز السلطة الحقيقية والنفوذ العملى على البشرية كلها فى أيدى زمرة من أحط خلق الله وشرذمة ممن لا يرعون فى البشرية إلاً ولا ذمة.

وهؤلاء المرابـون هم الذين يداينـون الناس أفـرادا كـمـا يـداينون الحكومات ،والشعوب في داخل بلادهم ،وفى خارجها.

ومن ثم فـهم لا يملكون المال وحـده إنما يملكون من خـلاله النفـوذ والتحكم.

والكارثة الخطيرة التى تمت في العصر الحديث هي أن هؤلاء المرابين قد اسـتطاعوا بما لـديهم من سلطة هائلة داخل أجهـزة الحكم العالمـية ،وبما يملكون من وسائل التوجيه والأعلام فى الأرض كلها .

استطاعـوا أن يحفروا فى عقـول الكثيرين من البـشر أن هذا النظام الربوى الخبيث هو النظام الطبيعي الذى لا يمكن أن تقوم قائمة للإقتصاد العالمى والداخلى إلا عليه .

وأنه هو الأساس الصحيح للنمو الاقتصادي.

وأن الذين يريدون إبطال هذا النظام جماعة من الخياليين .

وأنهم يتحـدثون عن نظريات أخلاقـية مجـردة وعن مثل خيـالية لا رصيد لهـا من الواقع ليستـروا عورات هذا النظام الكالح الطالح الذي يمحق سعادة البشرية محقا والذي حرمه الله ورسوله .

وكيف يحرم الله ورسوله أمرا لا تقوم الحياة البشرية إلا به ؟!

﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]

ومن ثم فالنظام الإسلامى،والنظام الربوي لا يلتـقيان فى تصور،ولا يلتقيان فى أسـاس،ولا يتوافقان فى نتيجـة،ومن هنا كانت هذه الحملة المرعبة المفزعة علي الربا في القرآن والسنة

فـفى الحديث الذى رواه مـسلم، وأبو داود ، وابن ماجـة، والترمـذى وغيرهم من حديث ابن مسعود، وجاء عن عمر وعلي وغيرهم أن النبى ﷺ قال :

« لعن رسـول الله آكل الربا ومـوكله وشـاهديه وكـاتبـه، وقـال هم سواء»[١].

وفي الحديث الذي رواه البيهقى، وابن مـاجة، والحاكم، وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم، وصحـحه الألبانى فى صحيح الجامع ومن حديث عبد الله بن مسعود أيضا أن النبى ﷺ قال:

« الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه»[٢].

وفى الحـديث الذى رواه الطبـرانى فى الكبيـر، وأحـمد فى مـسنده ورجاله رجال الصحيح وصححه الألبانى فى صحيح الجامع

عن عبد الله ابن حنظلة أن النبى ﷺ قال: **«درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ست وثلاثين زنية»**[٣].

---

(١) رواه مـسلم رقم (١٥٩٧) فى المسـاقـاة، باب لعن آكل الربا ومـوكله، والتـرمـذى رقم (١٢٠٦) فى البيـوع، باب ما جاء فى آكل الربا، وأبو داود رقم (٣٣٣٣) فى البـيوع، باب آكل الرباوموكـله، وإسناده حسن، وقال التـرمذى : حـسن صحيح، وأخـرجه ابن مـاجة رقم(٢٢٧٧) فى التجارات، باب التغليظ فى الربا.

(٢) رواه البيهقي وابن ماجة ، والحاكم فى المستدرك ، وصـححه شيخنا الألبانى في صحيح الجامع رقم (٣٥٣٩)

(٣) رواه أحمد والطبراني، وصححـه شيخنا الألباني فى صحيح الجامع(٣٣٧٥)، والصحيحة (١٠٣٣).

وفى حـديث سمـرة بن جندب الطويل الذى رواه البخـارى، وفيـه أن النبى ﷺ قال:

« أنه آتانى الليلة آتيان، وإنهما قالا لى انطلق فانطلقنا فأتينا علي نهر من دم، وإذا فى النهر رجل سابح يسبح و إذا على شط النهر رجل وبين يديه حجارة وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقـمه حجراً فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما جاء ليخرج ، رماه الرجل على الشاطىء بحجر فى فيه فيرجع كما كان»[1]

هذا هو شر الربا.

وهنا نخلص إلى العنصر الثالث لنتعرف على ربا الجاهلية.

أولا: ربا النسيئة (أو التأجيل)

وهو أن يعطى الرجل ديناً لرجل آخر إلى أجل معلوم، فإذا حل الأجل المحـدد بينهمـا ولم يستطع المدين السداد أعطاه الدائن مـهلة فى مقـابل الزيادة الربوية.

يقول مجاهد : كـانوا فى الجاهـلية يكون لـلرجل على الرجل دين فيقول : لك كذا، وكذا (أى من الزيادة) وتؤخر عنى فيؤخر عنه.

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٠٤٧) فى التعـبير، باب تعبير الرؤيا بعد صـلاة الصبح، وفى صفة الصلاة، باب يسـتقبل الإمام الناس إذا سلـم، ومسلم رقم (٢٢٧٥) فى الرؤيا ، باب رؤيا النبى ﷺ، والترمذى رقم (٢٢٩٥) فى الرؤيا ، باب رؤيا النبى فى الميزان والدلو.

يقول الإمام أبو بكر الجصاص فى كفاية أحكام القرآن:

إن ربا الجاهلية إنما كان قرضا مؤجلا بزيادة مشروطة ،فكانت الزيادة بدلا من الأجل فأبطله الله تعالى.

والربا فى هذا النوع واضح بيِّنْ تتوفر فيه كل العناصر الأساسية لكل عملية ربوية وهذه العناصر هى:

أولا : الزيادة على أصل المال.

ثانيا: الأجل والزمن الذى يحدد نسبة الزيادة على أصل المال ،أو الذى من أجله تعطى هذه الزيادة على قدر مكث هذا المال لدى الآخر.

ثالثا: الفائدة المشروطة المضمونة.

وعليه فإن كلَّ من تعامل يشتمل على هذه العناصر الثلاثة فهو تعامل ربوى،وإن تغير مسماه للتحايل على شرع الله ،وهذا النوع أبطله الإسلام وحرمه القرآن.

ثانيا: ربا الفضل

وهو أن يبيع الرجل الشئ بالشيء من نوعه مع الزيادة.

وفى الصحيحين عن أبى سعيد ،وأبى هريرة أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر فجاء بتمر جَنِيب(أى طيب) فقال رسول الله : « **أَكُلُّ تمر خيبر هكذا؟ فقال :لا والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع بالصاعين،والصاعين بالثلاثة فقال النبىﷺ:لا تفعل بع الجمع** (أى الردىء، أو المجموع من أنواع مختلفة)**بالدراهم ثم أبتَعْ بالدراهم جنيبا**»[1]

وفى رواية لمسلم عن أبى سعيد قال : «**جاء صاحب نخلة بصاع من تمر طيب فقال له النبى ﷺ أَنَّى لك هذا؟ قال انطلقت بصاعين فاشتريت به هذا الصاع،فإن سعر هذا فى السوق كذا،وسعر هذا كذا،فقال رسول الله ﷺ: ويلك: أرْبَيْت إذا أردت ذلك فبع تمرك بسلعة،ثم اشتر بسلعتك أى تمر شئت**»[2]

---

(١) رواه البخارى (٢٢٠١،٢٢٠٢) فى البيوع،باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه،وفى الوكالة فى الصرف والميزان ،وفى المغازي ،وفى الاعتصام،ومسلم رقم (١٥٩٣) فى المساقاة،باب بيع الطعام مثلا بمثل،والموطأ (٦٢٣/ ٢) فى البيوع،باب ما يكره من بيع التمر، والنسائى (٢٧١/ ٧،٢٧٢) فى البيوع،باب بيع التمر بالتمر متفاضلا.

(٢) رواه البخاري رقم (٢٠٨٠) فى البيوع ،باب بيع الخلط من التمر،وباب بيع الفضة بالفضة،وباب بيع الدينار بالدينار،وأخرجه مسلم (١٥٩٤) ،(١٥٩٥)،(١٥٩٦) فى المساقاة،باب بيع الطعام مثلا بمثل،والموطأ (٦٣٢/ ٢) فى البيوع ،باب بيع الذهب بالفضة تبرا وعينا،والترمذي رقم (١٢٤١) فى البيوع ،باب ما جاء فى الصرف،والنسائى (٢٧١/ ٧،٢٧٢،٢٧٣) فى البيوع،باب بيع التمر بالتمر متفاضلا، وباب بيع الفضة=

وزاد النبى ﷺ هذه المسألة توضيحا جليا فقال كما فى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت: «**الذهب بالذهب،والفضة بالفضة،والبر بالبر،والشعير بالشعير،والتمر بالتمر،والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد سواء بسواء ،فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى سواء** . »[1]

وفى رواية لمسلم: «**فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد**» .

وفى لفظ للبخارى «**لا تبيعوا بالذهب إلا سواء بسواء ،والفضة بالفضة إلا سواءً بسواء،وبيعوا الذهب بالفضة ،والفضة بالذهب كيف شئتم**»[2] فالتبادل بين الذهب والفضة مثلا تبادل حر يمكن فيه التفاضل بشرط التناقد أى التقابض فى المجلس الواحد،وهكذا فعبارة مثلا بمثل يفهم منها أن تشترط الإتفاق فى النوعية وعبارة يدا بيد تشترط التقابض فى المجلس.

وعبارة سواء بسواء تشترط التساوى فى المقدار ،وعدم جواز الفضل.

= بالذهب،والذهب بالفضة،وأخرجه ابن ماجة رقم (٢٢٥٦) فى التجارات ،باب الصرف ومالا يجوز متفاضلا.

(١) رواه مسلم رقم (١٥٨٧) فى المساقاة،باب الصوف وبيع الذهب بالورق نقداً، والترمذى رقم (١٢٤٠) فى البيوع ،باب ما جاء أن الحنطة بالحنطة مثلا بمثل،وأبو داود رقم (٣٣٤٩)،(٣٣٥٠)فى البيوع،باب في الصرف،والنسائى (٢٧٤/ ٧،٢٧٥،٢٧٧،٢٧٨) فى البيوع ،باب بيع البر بالبر ،وبيع الشعير بالشعير،وأخرجه ابن ماجة رقم (٢٢٥٤) فى التجارات ،باب الصرف ،ومالا يجوز متفاضلا يدا بيد.

(٢) رواه البخاري رقم (٢١٧٥) فى البيوع ،باب بيع الذهب بالذهب.

رابعا: ربا البنوك.

لاشك أن وجود البنوك فى العصر الحديث ضرورة تستوجبها الظروف الاجتماعية والاقتصادية، والتجارة الخارجية.

ولكن ليس بالضرورة أن يقوم هذا النظام البنكى على الربا بل يمكن الاستفادة منه فى تيسير المنافع ،والخدمات التى يحتاج إليها الناس ضمن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة وفقا للتصور الاسلامى الموجود بالفعل، للتخلص من هذا النظام الربوى ،والذى يمسك به دهاقنة اليهود فى العالم الذين استطاعوا بالفعل أن يؤثروا على كثير من المسلمين ،ومن العلماء للتفرقة بين الربا المحرم، وبين ربا البنوك وبالفعل سميت المعاملات الربوية البنكية بأسماء بعيدة لإزاحة الشبهات المتعلقة بالربا كلفظ الفائدة، أو العمولة، أو العائد ،أو السحب على المكشوف، أو الحساب الجارى المدين، أو سندات الخزينة التى تسمى بشهادات الاستثمار.... الخ.

وظهرت الفتاوى بأنه يجب النظر إلى هذه البنوك على أساس مصالح الناس فى معاشهم فإن كان لا يتم معاشهم إلا بها فهى جائزة دفعا للحرج الواجب دفعه عملاً بنص القرآن:

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]

فمصلحة الناس فى الأصل أن لا تصادم هذه المصلحة نصا شرعيا

وأن المرجع الأول فى التشريع النقل ،وليس العقل.

ومن المعروف لكل أحد أن النظام البنكى يقوم علي فلسفة الفائدة وبالتالى فإن طبيعة الأعمال البنكية فى الغالب ،وبصفة عامة لا تخرج عن دور الوساطة بين المودعين والمقترضين بفائدة مشروطة على الجميع ولكنها تزيد كثيرا فى حالة الإقراض عنها فى حالة الإيداع ،وهذا هو الربا بعينه.

فلقد توفر فيه جميع العناصر الربوية التى ذكرناها آنفا .

ولقد أصدرت المجامع الفقهية التى يجب أن يعتمد عليها لا على فتاوى الأفراد فالفرد نفسه يخطىء ويصيب.

أصدرت هذه المجامع الفتاوى بحرمة فوائد البنوك ،وأنها بعينها هى الربا المحرم .

كفتوى المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى لعام ١٩٧٦م الذى حضره الكثرة من علماء الاقتصاد وقتها ،والشريعة على مستوى العالم وأجمع الجميع على اعتبار فوائد البنوك من الربا المحرم.

وكفتوى مجمع الفقه الإسلامى بجدة فى دورته الثالثة المنعقدة فى أكتوبر لعام ١٩٨٦

وكفتوى المجمع الفقهى لرابطة العالم الإسلامى لعام ١٩٨٦م،والتى قالت : بأنه يحرم على كل مسلم أن يتعامل مع البنوك الربوية من الداخل والخارج.

وكفتوى دار الإفتاء المصرية بتاريخ ١٢ يناير لعام ١٩٨٠،بأن إيداع

الأموال فى البنوك بفائدة محددة مقدما من الربا المحرم شرعا.

وغيرها الكثير والكثير، وإلى جوارها العديد من الفتاوى.

وكفتوي إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة التى نصت على تحريم الفوائد الربوية، والتعامل مطلقا مع أى بنك ربوى والفتوى برقم ٢٨٢٨

وأما ما يعرف بالقرض الإنتاجى الإستهلاكى فقد أفتى مؤتمر علماء المسلمين المنعقد بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بأن الفائدة على أنواع القروض ربا محرم لا فرق بين ما يسمي بالقرض الإستهلاكى أو الإنتاجى.

أما ما يسمي بسندات الخزينة أو شهادات الاستثمار فهى بدعة جديدة لتضليل الناس. وما هى فى الحقيقة إلا قرض بزيادة مشروطة محددة فى نظير الزمن ولا يمكن على الإطلاق أن يغير المسمى حقيقة الربا.

فالعبرة فى المعاملات بحقيقتها ، وليست بألفاظها وأسمائها، فهذه الشهادات ذات القيمة المتزايدة وذات العائد الجارى، أو الدولارية ، أو غيرها تجمع بين الربا والقمار المحرم، بل وتجمع بين ربا النسيئة وربا الفضل. وجميع الشبه التى يحتجون بها على الجواز إنما هى شبه عرجاء، وكل امرىء بما كسب رهين.

من البيوع المحرمة التى ابتلى بها كثير من الناس وأريد أن أنبه إليها ما يسمى« بيع العينة» .

وهى قرض ربوى مستتر بمعنى أن يشترى الرجل السلعة سيارة مثلا

بمائة ألف ثم يبيعها مرة أخرى إليه أى إلي البائع بخمسة وتسعين ألفا مثلا ولذا يسمى بيع العينة لأن عين السلعة تعود إلى البائع مرة أخري ولا يتسع الوقت لذكر أنواع أخري من البيوع ،ولكنى اكتفى بهذا لكثرة ابتلاء الناس به والعياذ بالله.

وأخيرا: فهل من توبة وما الحل؟

قال تعالى :

﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴾

[البقرة: ٢٧٩]

والحل هو الاستثمار والتجارة الحلال، فإذا كانت لا تملك أن تستثمر مالك أو أن تتاجر فيه لاسيما إذا كنت مرتبطا بعملك كطبيب ،أو مهندس، أو مدرس ،أو غير ذلك.

ونحن نعيش زمانا ضعف فيه الإيمان، وخربت فيه الذمم، وحُورب كثير من المشاركات الاقتصادية الإسلامية الخيرة فأمامك هذه الأفرع الإسلامية التى إنتشرت الآن فى بلاد المسلمين.

فالحمد لله أن وجد بعض البنوك الإسلامية التى يشرف عليها مجموعة من العلماء أو ما يسمى بهيئة الرقابة الشرعية.

ولا تكلف نفسك من الأمر مالا تطيق بالسماع لكل من يشكك فى

كل ما هو إسلامي.

فذاك مقصود لذاته ،ولا يمكن أبدا أن تقـوم تجربة إسلامية فى ظل هذه الظروف الربوية الرهيبـة لتولد مكتملة بنسبـة مائة فى المائة ،ولكن هذا من باب ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [التغابن: ١٦]

وبذلك تكون قـد أعذرت إلى الله عـز وجل وعلا ،ونسـأل الله أن يطهر أموالنا. . . .

. . . . .الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

« أكل مال اليتيم »

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيماً ﴾

[الأحزاب : ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ،وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة فى النار.

أحبتى فى الله :

هذا هو لقاءنا السادس مع السبع الموبقات التى حذر منها النبى ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم،وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **اجتنبوا السبع الموبقات ،قالوا: يا رسول الله وما هن؟قال: الشرك بالله ،والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق،وأكل الربا ،وأكل مال اليتيم،والتولى يوم الزحف،وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.** »[1]

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الخامسة فى هذا الحديث وهى أكل مال اليتيم.

ويالها من كبيرة كبيرة وقع فيها كثير من الناس نسأل الله السلامة والعافية. ونظرا لخطورة هذا الموضوع وطوله فسوف ينتظم حديثى مع حضراتكم فى العناصر التالية.

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٦٦) فى الوصايا ،باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾ ،وفى الطب باب الشرك والسحر من الموبقات ،وفى المحاربين ،باب رمى المحصنات،ومسلم رقم (٨٩) فى الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها،وأبو داود رقم (٢٨٧٤) فى الوصايا،باب ما جاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم،والنسائى(٦ / ٢٥٧) فى الوصايا،باب اجتناب أكل مال اليتم.

أولا: من هو اليتيم.
ثانيا: مكانة اليتيم فى القرآن والسنة وفضل كافله.
ثالثا: عاقبة من يأكل مال اليتيم.
رابعا: يُتم رغم وجود الوالدين.
وأخيرا: كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك؟!.
فأعيروني القلوب والأسماع فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان.

أولا: من هو اليتيم؟

جاء فى لسان العرب لابن منظور:
أن اليتيم فى الناس من فقد أباه وأن اليـتيم فى الحيوانات ،والطيور من فقد أمه.
وهذه لطيفة لغوية دقيقة لها مغزى، قَلَّ من ينتبه إليها.
وأصل اليُتم فى اللغـة هو الغفلة وبه سمى اليتـيم يتيما لأنه يُـتغَافل عن بره بعد موت أبيه .
وأصله أيضا الانفراد فكل شىء مفرد بغير نظيـره فهو يتيم كما يقال درة يتيمة أى منفردة.

ثانيا: مكانة اليتيم في القرآن والسنة وفضل كافله.

لقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة باليتيم من الناحية النفسية والتربوية ،ومن الناحية المادية على السواء.

مراعاة لظروفه النفسية بعد فقده لأبيه إذ قد يصيبه شيء من الذل والانكسار والوحشة لا سيما إن كان أبوه ممن امتثل قول الله عز وجل وعلا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]

ولقد ظهرت هذه العناية الكريمة باليتيم منذ الفترة الأولى لتنزل الوحى على قلب حبيبه الذى ولد يتيما فكان يُتْمُهُ تشريفاً لكل يتيم !!

فهو اليتيم الذى أعاد البسمة والسعادة لليتامى على ظهر الأرض وها هو ربنا جل وعلا يمتنُّ على حبيبه المصطفي بهذه النعمة والمنة فيقول:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ⑥ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ⑦ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ﴾ [الضحى: ٦ - ٨]

أى ولدت يتيما فآواك الله .

وأحاطك بعنايته ورعايته وحفظه وفضله.

وكنت فقيرا فأغنى الله نفسك بالقناعة والرضي ،ثم أفاض عليك

الرزق الطيب الحلال، وكنت تائها تبحث عن الطريق فى بيئة جاحدة ونفوس شاردة، وهاجرة محرقة فهداك الله وطمأن قلبك وشرح صدرك ،ورفع ذكرك ،ووضع وزرك.

ومن ثم بعد كل هذه النعم والمنن ،وبعد كل هذا الفضل والفيض يأتيه التوجيه الرباني الكريم:

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ٩ - ١١]

ومن هذا المنطلق الكريم بالاهتمام بأمر اليتيم.

يأمر الله جل وعلا بالمحافظة على أموال اليتامى ،وعدم تبديدها،أو تبديلها بالخبيث أو المتاجرة بها فيما حرم الله عز وجل ،فإن هذه الأموال أمانة عند ولى اليتامى سيسأل عنها بين يدى الله جل وعلا. فيقول سبحانه:

﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٢]

ويقول سبحانه: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

وأوجب الله على ولى اليتامى أيضا :ألا يُسْرِف فى الإنفاق منها

وحذره من المبادرة والإسراع إلى أكلها قبل أن يكبر أصحابها من اليتامى ليأخذوها فإن هذا من أعظم الذنوب والآثام.

وأوجب الله تعالي على ولى اليتامى إن كان غنيا أن يستعفف عن الأكل من أموال اليتامى وإن كان فقير فله أن يأكل بالمعروف من غير إسراف ،ولا تبزير وفي أضيق الحدود.

وأوجب الله على ولى اليتامى أيضا أن يرد أموال اليتامى إليهم إذا بلغوا النكاح،أو مرحلة الرشد والنضج،وأصبحوا قادرين على تصريف أمورهم وتدبير شئونهم والمحافظة على أموالهم.

وأمره أن يُشْهِدَ عند دفع هذا المال إبراء للذمة ودرأ للشبهة.

ورأى الشافعية والمالكية أن الأمر هنا للوجوب ورأى الحنفية أن الإشهاد مندوب وليس بواجب.

فقال سبحانه: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٦]

ومن الآيات القرآنية التى تؤكد وتُرَسِّخ هذه المعانى قول الله عز وجل: ﴿ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]

ويقول عز وجل : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ

وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ أى إثما عظيما.
[النساء: ٢]

ويقول عز وجل: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٦]

ويالها والله من خاتمة جليلة ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾.

فالله هو الرقيب عليكم الشهيد على أعمالكم ،وأقوالكم وأحوالكم يحاسبكم على ما أظهرتم وما أسررتم فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

وصدق الله إذ يقول:

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]

ومن بين هذه الآيات القرآنية الكريمة هذه الآية التى تكرم اليتامى أعظم تكريم حيث يربط الله جل وعلا أمر الإحسان إليهم بعد الأمر بتوحيده وعبادته عز وجل. فيقول سبحانه:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ

وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً ﴾

[النساء :٣٦]

ومع أن كل هذه الآيات السابقة تشتمل على اليتيم واليتيمة إلا أن الله جل وعلا قد خص اليتيمة أيضا بهاتين الآيتين زيادة فى تأكيد حقها وتوضيحه فيقول سبحانه:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣]

يقول سبحانه:

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً﴾ [النساء: ١٢٧]

وفى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما أن عروة بن الزبير رضى الله عنه سأل عائشة رضى الله عنها عن الآية الأولى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلاَّ تَعُولُوا ﴾

[النساء :٣]

فقالت عائشة رضى الله عنها: يابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها تشركه فى ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليُّها أن يتزوجها بغير أن يُقسطَ فى صَداقِها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره.

فنُهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سُنَّتهنَّ فى الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله بعد هذه الآية، فأنزل الله[1] : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧]

وفى صحيح البخاري، ومسلم وغيرهما أن عروة بن الزبير سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ . . . الآية﴾ [النساء : ٣]

فقالت: يابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن فى إكمال الصداق، وأمروا بنكاح من سواهن[2]

(١)، (٢) رواه البخارى رقم (٤٥٧٤) فى الوصايا، باب قول الله تعالى (**وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب**)، وفي تفسير سورة النساء، وفى النكاح، وفى الحيل، وأخرجه مسلم رقم (٣٠١٨) فى التفسير، وأبو داود رقم (٢٠٦٨) فى النكاح باب ما يكره أن يجمع بينهن من النساء، والنسائى (٦/١١٥)، و(١١٦) فى النكاح، باب القسط فى الأصدقة.

قالت عائشة فاستفتى الناس رسول الله بعد ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ... الآية﴾.

فبين الله لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال ورغبوا فى نكاحها، ولم يُلحقوها بسُنَّتها فى إكمال الصداق.

وإذا كانت مرغوبا عنها لقلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء .

وقالت عائشة فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق، ثم تأتى السنة ليقوم صاحبها ﷺ الذى كان يتمه تشريفا لكل يتيم ، تأتى هى الأخرى لتكرم اليتيم تكريما هو من الذروة بمكان.

فوالله لو لم يرد فى السنة إلا هذا الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

« أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة،وأشار بالسبابة والوسطى »[1]

لو لم يكن فيها إلا هذا الحديث لكفى.

وفى لفظ مسلم : **«كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة،وأشار بالسبابة والوسطى»**[2] ،أى حتى وإن كان اليتيم أجنبيا عنه

---

(١) رواه البخارى رقم (٦٠٠٥) فى الأدب،باب من يعول يتيما،والترمذى رقم (١٩١٩) فى البر والصلة،باب ما جاء فى كفالة اليتيم ،وأبو داود رقم (٥١٥٠) فى الأدب،باب فيمن ضم اليتيم.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٩٨٣) فى الزهد والرقائق باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم

ولقد نقل الحافظ ابن حجر قول ابن بطال :

حق على كل من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبى ﷺ فى الجنة، ولا منزلة فى الآخرة أفضل من ذلك.[١]

وفى الحديث الذى رواه أبو يعلى وغيره وقال عنه الحافظ ابن حجر فى الفتح : إسناده لا بأس به، من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « **أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنى أرى امرأة تبادرنى [أى تسرع لتدخل معى الجنة] فأقول لها مالك ،ومن أنت؟!: فتقول:أنا امرأة قعدت على أيتام لى** ».[٢]

وفى الحديث الذى رواه النسائى بسندجيد من حديث شريح خويلد بن عمرو الخزاعى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **اللهم إنى أخرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة** »[٣]

ومعنى احرج أى ألحق الحرج والإثم الشديد على من ضيع حقهما، وأكل مالهما فإنى أحذر من ذلك تحذيرا بليغا ،وأزجر عنه زجرا كبيرا.

وعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما قال: « رأى سعد أن له فضلا علي من دونه فقال النبى ﷺ:

---

(١)فتح البارى (٤٣٦/ ١٠)ط دار المعرفة بيروت

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٤٣٦/ ١٠) ،أخرجه أبو يعلى من حديث أبى هريرة ،ورواته لا بأس بهم.

(٣) رواه النسائى.

« هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»

رواه البخارى [(١)] مرسلا ووصله الحافظ أبو بكر البرقانى فى صحيحه

وفى الحديث الذى رواه البخـارى ،ومسلم من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :

« الساعى على الأرملة والمسـاكين كالمجاهد فى سبـيل الله،أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل» [(٢)]

الله أكبر. . . والأرملة هى المرأة التى مات زوجها.

أى فضل هذا وأى أجر؟!

والله إنها التجارة الرابحة فى الدنيا والآخرة.

فهذه هى مكانة اليتيم فى القرآن والسنة .

ثالثا : عاقبة من يأكل مال اليتيم

ومن ثم يأتى هذا الـتحـذير الـرهيب والأنذار الرعـيب الذى يفـزع

---

(١) رواه البخـارى رقم (٢٨٩٦) فى الجهـاد ،باب من استـعان بالضـعفاء ،والصـالحين فى الحرب ،والنسائى (٦/ ٤٥) في الجهاد،باب الاستنصار بالضعيف.

(٢) رواه البخـارى رقم (٥٣٥٣) فى النفقات ،باب فـضل النفقة عـلى الأهل،ومسلم رقم (٢٩٨٢) فى الزهد،بـاب الإحسـان إلى الأرملـة،والتـرمـذى رقم (١٩٦٠) فـى البـر والصلة،باب ما جـاء فى السعى على الأرملة،والنسـائى (٥ / ٨٦،٨٧) فى الزكاة،باب فضل الساعى علي الأرملة.

القلوب الحية ليبين عاقبة آكل مال اليتيم فيقول جل وعلا :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]

الله أكبر... إنها صورة مفزعة.. صورة النار فى البطون... وصورة السعير فى نهاية المطاف.

وقد هزت هذه الآية قلوب الصحابة هزا عنيفا وملأتها بالخوف والرهبة ووقعوا فى حرج شديد.

كما قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية ،انطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء أى يتبقى من أكل اليتيم فيحبس له، ولا يأكله أحد حتى يأكله اليتيم، أو يفسد.

فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٠]

فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم.

وهكذا رفع المنهج القرآنى الكريم هذه الضمائر إلى ذلك الأفق الوضيء وطهرها من غبش الجاهلية ذلك التطهير العجيب.(١)

(١) انظر تفسير الآية فى ظلال القرآن.

رابعا: يُتْمٌ رغم وجود الوالدين

نعم فقد يكون الوالدان موجودين على قيد الحياة ،ومع ذلك فإنك ترى أطفالهم كأنهم فى عداد الأيتام لانشغال الوالدين بالعمل أو بغيره إذ الوالد منهمك فى عمله وتجارته لا يدرى عن حال أولاده شيئا والمرأة منشغلة كذلك بالعمل،أو بالأسواق ،أو بأحدث الموضات وتخلت عن تربيته للخادمات أو الحاضنات، فينشأ الطفل كما لو كان يتيما !!!

ورحم الله من قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواه — من الحياة وخلفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذى تلقى له — أُمًّا تخلت أو أباً مشغولا.

نعم فاليُتم فى أصل اللغة كما قال ابن منظور فى لسان العرب :

هو أيضا الانفراد فإذا أمسى الطفل بانفراده ووحدته رغم وجود والديه فهو يَحُسُّ باليتم.

فالصبي أمانة عند والديه ،وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية من كل نقش وصورة،وهو قابل لكل ما نقش عليها .

فإن عود الخير وربى على الإسلام ،سلم فى الدنيا والآخرة، وإن عود على الشر ،وربي على موائد اللئام شقى وخسر،وكان الوزر على رأس والديه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم: ٦]

وأخيرا: كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك؟

والجواب من الله تعالى ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ [النساء: ٩]

فها هو عمر بن عبد العزيز يدخل عليه ابن عمه سلمة بن عبد الملك وهو على فراش الموت فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد أقفرت أفواه ولدك من هذا المال!! فو أوصيت بهم إليَّ وإلى نظرائى من قومك فكفوك مئونتهم.

فلما سمع مقالته قال : أجلسونى فأجلسوه.

فقال : قد سمعت مقالتك يا مسلمة

أما قولك : إنى أقفرت أفواه ولدى من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقا هو لهم ،ولم أكن لأعطيهم شيئا لغيرهم.

وأما ما قلت فى الوصية: فإن وصيى فيهم : ﴿ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]

وإنما ولد عمر بين أحد رجلين: إما رجل صالح فسيعينه الله ، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال آدع لى بَنىَّ فأتوه.

فلما رآهم ترقرقت عيناه وقال : بنفسى فتية تركتهم عالة لا شىء لهم وبكى، يا بنى إنى قد ترك لكم خيراً كثيرا تمرون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم إلا رأوا لكم حقا .

يا بنى إنى قد مليت بين أمرين : إما أن تستغنوا وأدخل النار أو

تفتقروا وأدخل الجنة فأرى أن تفتقروا إلى ذلك أحب إلىّ.. قوموا عصمكم الله .. قوموا رزقكم الله، وهذا لا يعارض أبدا الدخول فى الأسباب ، فلا مانع على الاطلاق أن تسعى ، وأن تكدح شريطة ألا تضيع حق الله تعالى ثم حقوق أولادك من أجل أن توفر لهم السعادة فى حياتك ، وبعد مماتك، والأصل فى ذلك

ما رواه مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: «**جاءنى رسول الله ﷺ يعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى ،فقلت يا رسول الله ،إنى قد بلغ بى من الوجع ما ترى ،وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لى، أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال :لا ،قلت : فالشّطر يا رسول الله : قال لا، قلت : فالثلث ؟ قال : فالثلث والثلث كثير ثم قال: إنك إنَ تَذَر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**»[(١)].

.... الدعاء

(١) رواه البخارى رقم (١٢٩٥) فى الجنائز ،باب رثاء النبى ﷺ سعد بن خولة، وفى الإيمان ،باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرىء ما نوى، وفى الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يدعهم يتكففون الناس، وباب الوصية بالثلث، وفى فضائل أصحاب النبى ﷺ، باب قول النبى ﷺ « اللهم أمض لأصحابى هجرتهم» ، وفى المغازى، وفى النفقات ، وفى المرضى وفى الدعوات، وفى الفرائض، ومسلم رقم (١٦٢٨) فى الوصية، باب الوصية بالثلث، والموطأ (٢/ ٧٦٣) فى الوصية، باب الوصية فى الثلث لا تتعدى، والترمذى رقم (٩٥٧) فى الجنائز، باب ما جاء فى الوصية بالثلث والربع، وفى الوصايا ، باب ما جاء فى الوصية بالثلث ، وأبو داود رقم (٢٨٦٤) فى الوصايا، باب ما جاء فيما لا يجوز للوصى من ماله، والنسائى (٦ / ٢٤١ ــ ٢٤٣) فى الوصايا، باب الوصية بالثلث.

بسم الله الرحمن الرحيم

« التولي يوم الزحف »

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب : ٧٠، ٧١]

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

أحبتى فى الله :

فهذا هو لقاءنا السابع مع السبع الموبقات التى حذر منها النبى ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

« اجتنبوا السبع الموبقات ،قالوا: يا رسول الله وما هن؟قال: الشرك بالله ،والسحر ،وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق،وأكل الربا ،وأكل مال اليتيم،والتولى يوم الزحف،وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[1]

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة السادسة ألا وهى التولى يوم الزحف والتولى كما قال ابن منظور فى لسان العرب فى مادة ولى. وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا فسوف أركز

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٦٦) فى الوصايا ،باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾ ،وفى الطب باب الشرك والسحر من الموبقات ،وفى المحاربين ،باب رمى المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) فى الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) فى الوصايا، باب ما جاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم، والنسائى(٦/ ٢٥٧) فى الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتم.

الحديث مع حضراتكم فى العناصر التالية:

أولا: المعنى اللغوى.

ثانيا: تشريع الجهاد فى الإسلام والهدف منه.

ثالثا: فضل الجهاد.

رابعا: وجوب الثبات أثناء الزحف.

خامسا: التولى يوم الزحف كبيرة من الكبائر.

وأخيرا: لاعز إلا بالجهاد.

فأعيرونى القلوب والأسماع فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان.

أولا: المعنى اللغوى لقوله ﷺ والتولى يوم الزحف.

قال ابن منظور فى لسان العرب[1] فى مادة ولى

ولى الشيء، وتولى أى أدبر، ودنى عنه أى أعرض عنه ، وقد تكون التولية إقبالا كما فى قوله تعالى :

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]

أى أقبل بوجهك نحوه.

وقد تكون التولية إعراضا وانصرافا ، وإدبارا كما في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥]

فالتولى يوم الزحف هو الأعراض والإدبار والفرار أمام العدو فى

(١) لسان العرب لابن منظور [٤١٤ / ١٥].

ساحة الجهاد .

جاء في لسان العرب لابن منظور فى مادةولى وزحف.

إن التولى : هو الإدبار والإعراض والانصراف.

والزحف هو الشيء رويدا أى ببطء فالجيش الزاحف هو الذى يرى كثرته كأنه يزخف ويمشى ببطء لأنه يتحرك ككتلة واحدة وكجسم واحد.

وعليه فالتولى يوم الزحف : هو الإعراض والانصراف والإدبار والفرار أمام العدو من أرض المعركة.

ثانيا: تشريع الجهاد فى الإسلام والهدف منه.

لقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ،وأمره أن يدعو الناس جميعا لهذا الدين وخاطبه بقوله جل وعلا:

﴿ يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾

[المدثر: ١ - ٤]

فقام النبى ﷺ فى ذات الله أتم قيام وشمر عن ساعده ودعا إلى الله ليلا ونهارا وسراً وجهراً إلى أن نزل عليه قول الله عز وجل:

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]

فصدع بأمر الله فدعا إلى الله الصغير والكبير ،والحر والعبد والذكر والأنثى ،والأحمر والأسود.

فـأبرقت قـريش وأرعـدت وأرغـت وأزبدت ودقت طبـول الحـرب وأوعدت .

فلما أشتـد الإيذاء والبلاء أمر النبى أصحـابه أن يهاجروا إلى أرض الحبشةمرتين .

وتضاعف الإيذاء والابتلاء ومع هذا لم يـأذن الله لرسوله بأن يقابل السيئـة بالسيئة ، أو أن يواجـه الأذي بالأذى ، أو أن يحارب هؤلاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويفتنوا المؤمنين والمؤمنات بل أمره بالعفو والصفح كما قال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور : ٤٨]

﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٩]

﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ [الحجر : ٨٥]

﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية : ١٤]

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾

[المؤمنون : ٩٦]

وتتابـع الأذى والاضطهاد حـتى بلغ ذروته بتدبيـر مؤامـرة حقـيرة لاغتـيال رسـول الله ﷺ فـاضطر النبى ﷺ إلى الهجـرة من مكة إلى المدينة ، وأمر أصـحابه بالهجـرة إليها بعد ثلاث عـشرة سنة من البعـثة المباركة .

فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة وأيده بنصره بعباده المؤمنين من الأنصار الأبرار، والمهاجرين الأطهار، وألَّفَ الله بين القلوب، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبةالآباء والأبناء، والأزواج والأموال.

وهنا رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة وشمروا لهم عن ساق العداوة ، والمحاربة، وأحاطوا بهم من كل ناحية.

وهنا أذن الله للمؤمنين فى القتال ، ولم يفرضه عليهم دفاعا عن النفس، وتأمينا للدعوة فقال تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٣٩ - ٤١]

وفى السنة الثانية من الهجرة فرض الله القتال بقوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة: ٢١٦]

وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠)

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) ﴾

[الصف: ١٠ - ١٣]

والله إنها لتجارة رابحة، ولم لا؟! وقد علق الله عليها مغفرة الذنوب ، والنصر فى الدنيا والنجاة من النار والفوز بالجنة فى الآخرة.

وبعد هذه التجارة الرابحة يأتى هذا العقد الجليل والوعد الكريم الذى أودعه الله جل وعلا أفضل كتبه المنزلة وهى التوراة والإنجيل، والقرآن ويا له والله من عقد ما أعظم خطره ، وأجل قدره فالله جل وعلا هو المشترى والثمن جنات النعيم.

أما السلعة فهى الجهاد فى سبيل الله، بالأنفس والأموال.

فلما رأى التجار عظمة المشترى ، وقدر الثمن وجلالة قدر من جرى عقد التبايع على يديه ، ومقدار الكتاب الذى أثبت فيه هذا العقد عرفوا أن للسلعة قدرا وشأنا، ليس لغيرها من السلع فرأوا أن من الخسران الكبير أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة.

فعقدوا مع المشتري بيعة الرضا والرضوان.

فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي

التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]

فلما تم العقد وسلم الفائزون المفلحون السلعة الغالية أى أنفسهم وأموالهم قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا ،والآن قد رددناها عليكم أوفر وأكرم وأعظم ما كانت فقال سبحانه:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

ثم بين إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين شرف الجهاد وفضله فقال كما فى الحديث الذى رواه البخارى وأحمد من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « **إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسألوه الفردوس ،فإنه أوسط الجنة،وفوقه عرش الرحمن ،ومنه تفجر أنهار الجنة**» .[1]

وفي حديث أبى سعيد فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال لأبى سعيد: « **من رضى بالله ربا،و بالإسلام دنيا،وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة** فعجب لها أبو سعيد فقال :أعدها على يا رسول الله ففعل ،ثم قال رسول الله:**وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض ،قال:وما هى يا رسول الله ،قال:**

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٩٠)،فى الجهاد باب درجات المجاهدين فى سبيل الله ،وفى التوحيد،باب وكان عرشه على الماء،،وهروب العرش العظيم.

الجهاد فى سبيل الله »[١] (انظر زاد المعاد ٧٨/ ٣)

وفى الحديث الذى رواه البخارى وأحمد من حديث أبى عبس عبد الرحمن بن صـير أن النبى قال : « **من أغبَّرتْ قدماه فى سبيل الله حرَّمه الله على النار**»[٢]

وعن محمـد بن المنكدر قال: مر سلمان الفارسى على شـرحبيل بن السمط وهو فى مرابط له ، وقد شق المقام عليه، وعلى أكثر الصحابة

فقال لهم سلمان: ألا أحدثكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى.

قال سمعته يقول: « **رباط يوم وليلة فى سبيل الله أفضل ــ أو قال : خيـر ــ من صيام شـهر وقيـامه وإن مات جـرى عليه عَـمَلُهُ الذى كان يعملُهُ،وأُجرِيَ عليه رزقُهُو وأَمِنَ الفتَّانَ** »[٣]

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٨٤) فى الإمـارة ،باب بيان ما أعده الله تعالى للمـجاهد فى الجنة من الدرجات والنسائى (٦/١٩ ,٢٠) فى الجهاد،باب درجة المجاهد فى سبيل الله .

(٢) رواه البخاري رقم (٩٠٧) فى الجمعة،باب المشى إلى الجمعة،وقول الله جل ذكره: « **فاسعوا إلى ذكر الله**» ،ومن قال السعى والعمل والذهب ،وفى الجـهاد،باب من غبرت قدماه فى سبـيل الله ،والترمذى،رقم (١٦٣٢) فى فضائل الجهـاد،باب ما جاء في فضل من أغبرت قدماه فى سبيل الله والنسائى (٦/١٤) فى الجهاد،باب ثواب من أغبرت قدماه فى سبيل الله.

(٣) رواه مـسلم رقم (١٩١٣) فى الإمـارة ،باب فـضل الـرباط فى سـبـيل الله عــز وجل،والترمذى رقم (١٦٦٥) فى فضائل الجهـاد،باب ما جاء فى فضل الرباط،والنسائى (٦/٣٩) فى الجهاد،باب فضل الرباط،وإسناده صحيح،وقال الترمذى حسن صحيح.

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « **والذى نفسى بيده لا يُكْلَمُ أحد فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يُكْلَم في سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة اللَوْنُ لَوْنُ الدم والرِّيحُ ريح المِسْك**»[(١)]

وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ قال: « **إن أرواح الشهداء فى جوف طير خُضـر ،لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت،ثم تأوى إلى ملك القناديل.فاطَّلعَ إليهم ربُّهُم اطِّلاعةً فقال: هل تشتهون شيئا ؟فقالوا: أى شيء نشتهى ؟ونحن نَسْرَحُ من الجنة حيث شئنا. ففعل لهم ذلك ثلاث مرات ،فلما رأوا أنهم لن يُتْـرَكُوا من أن يُسـأَلوا قالوا: يارب! أن تَرُدَّ أرواحنا فى أجسادنا حتى نُقتل فى سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا**»[(٢)]

ولذلك قال النبى لجابر بن عبد الله: « **ألا أخبرك ماقال الله لأبيك**» قال بلى، قال: « **ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب،وكلم أباك كفاحا**» فقال : **يا عبدى تمن علي أعطك ،قال يارب تحيينى فأقتل فيك ثانية، فقال إنه سبق منى أنهم إليها لا يرجعون ،قال :يارب فأبلغ من**

(١) رواه البخارى رقم (٢٨٠٣) فى الجهاد ،باب من يجرح فى سبيل الله،ومسلم رقم (١٨٧٦) فى الإمارة،باب فضل الجهاد والخروج فى سبيل الله،والموطأ (٤٦١/ ٢) فى الجهاد،باب الشهداء فى سبيل الله ،والترمذى رقم (١٦٥٦) فى فضل الجهاد ،باب ما جاء فيمن يكلم فى سبيل الله،والنسائى (٢٨/ ٦) فى الجهاد ،باب من كلم فى سبيل الله.

(٢) رواه مسلم رقم (١٨٨٧) فى الإمارة،باب بيان أن أرواح الشهداء فى الجنةوأنهم أحياء عند ربهم يرزقون .

ورائى، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]

ومن أجل هذا كله ورد فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « **من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق**»[١]

واكتفى بهذا القدر من الأحاديث وإلا فهى كثيرة.

وأختم بهذه الأبيات المعبرة التى تبين شرف الجهاد وفضله.

والتى أرسل بها الإمام المجاهد العلم عبد الله بن المبارك لأخيه القانت الزاهد الورع عابد الحرمين الفضيل بن عياض يذكره فيها بشرف الجهاد فى سبيل الله فيقول:

ياعابدالحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك فى العبادة تلعب
من كان يخضبُ خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل	فخيولنا يوم الصبحية تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى غبار خيل الله في	أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا يكذب

(١) رواه مسلم رقم (١٩١٠) فى الإمارة،باب ذم من مات ولم يغز ،ولم يحدث نفسه بالغزو،وأبو داود رقم (٢٥٠٢) فى الجهاد،باب كراهية ترك الغزو،والنسائى (٦ / ٨) فى الجهاد باب التشديد فى ترك الجهاد ،وأخرجه أحمد فى مسنده (٣ / ٣٧٤).

رابعا: وجوب الثبات فى الجهاد

ولما كان هذا هو شرف الجهاد وفضله أمر الله جل وعلا بالثبات أثناء الزحف للقاء الكفار والمشركين.

لأن قلب المؤمن ينبغى أن يكون راسخاً ثابتاً لا تهزمه فى الأرض قوة ما دام موصولا بالله القوى العزيز: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١]

ويجب أن يكون هذا القلبُ كذلك على يقين أن الآجال بيد الله وأن واهب الحياة هو الله، وأنه إلى الله إن عاش حياً إلى الله إن كتبت له الشهادة، ومن ثم جاء هذا الأمر الربانى الكريم بالثبات والصبر والذكر، والذل لله والطاعة وعدم الكبر، وعدم التنازع فقال سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال: ٤٥ ـ ٤٧]

فهذه هى العوامل الحقيقة للنصر:

* الثبات عند لقاء العدو.
* كثرة الذكر لله عز وجل
* الطاعة لله والرسول ﷺ

* البعد عن النزاع والخلاف.
* الصبر على تكاليف المعركة.
* الحذر من البطر والرئاء والبغى.

واستجاب الصحبُ الكرام الذين رباهم سيد الأنام عليه الصلاة والسلام لهذا الأمر الربانى الكريم.

وضربوا أروع الأمثلة فى الثبات فى ساحة الوغى وميدان البطولة والشرف حينما تصمت الألسنة الطويلة، وتخطب السيوف والرماح علي منابر الرقاب، وأكتفى بهذا المشهد الكريم لأنس بن النضر الذى صرخ في الناس يوم أحد لما أشيع الخبر بأن رسول الله قد مات، وبدأ الجيش ينسحب راجعا إلى المدينة معتقدا أن أمر هذا الدين قد انتهى.

قام أنس ليقول :اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعنى المسلمين، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين.

ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال: أين يا أبا عمرو فقال أنس: واهاً لريح الجنة يا سعد، إنى أجده دون أحد، ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل فما عرف حتى عرفته أخته ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورميته بسهم! ! والحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أنس[1]

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٨٠٥) فى الجهاد والسير ،باب قول الله عز وجل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾[الأحزاب : ٣٢]، ومسلم رقم (١٩٠٣) من حديث أنس بن مالك فى الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد

خامسا : التولي يوم الزحف كبيرة من الكبائر

وبعد هذا الأمر بالثبات يأتى الأمـر بعدم الفرار إلا فى حالتين اثنتين وإلا فإن الفـرار من أرض المعركـة كبـيرة من كـبائر الذنوب تسـتحق غضب الله ونار جهنم والعياذ بالله.

فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

[الأنفال: ١٥، ١٦]

والتحرف: هـو ترك الموقف أو المكان إلي موقف أو مكان أصلح أو أفـضل للانطلاق منه على العـدو مـرة أخرى وهـذا من خُدع الحـرب ومكائدها.

والتحـيز: هو الانضمـام إلى فئة أخـرى لمعاونتـهم أولطلب العون منهم.

وهكذا دلت الآية على أن من فـر من موقع إلى مـوقع آخر لـمعاودة القتال أو مريداً التحيـز إلى فئة أخرى من المسلمين فإنه لا يكون داخلا فى هذا الوعيد الشديد اللاحق بالفارين من الزحف.

وقد ذهب بعض أهل العلمّ إلى أن الفرار من الزحف ليس كبيرة من الكبائر .

واحتجوا لذلك بأن الآية نزلت فى أهل بدر خاصة.

وزعم بعضهم أن الآية منسوخة بقوله تعالى:

﴿ الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [الأنفال: ٦٦]

فأجاز هؤلاء الفرار إذا زاد عدد الأعداء عن الضعف .

ولكن جمهور أهل العلم ذهبوا إلى أن الآية محكمة عامة كما يقول الإمام ابن جرير الطبرى رحمة الله تعالى :

وأولى التأويلين عندى قول من قال: حكم الآية محكم ،وأنها نزلت فى أهل بدر وحكمها ثابت فى جميع المؤمنين.

وأن الله حرم على المؤمنين إذا لقوا العدو أن يولوهم الأدبار منهزمين إلا لتحرف لقتال ،أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام .

وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف للقتال منهزما بغير نية إحدى هاتين الخصلتين اللتين أباح الله التولية بهما ،فقد استوجب من الله وعيده إلا أن يتفضل عليه بعفوه.

وذكر الحافظ ابن كثير بأن الآية نزلت فى أهل بدر ،ولكن هذا كله لا ينفى أن يكون الفرار من الزحف حراماً على غير أهل بدر،وإن كان سبب نزولها فيهم كما دل عليه حديث أبى هريرة من أن الفرار من الزحف من الموبقات كما هو مذهب الجماهير.

وأخيرا: لا عز إلا بالجهاد

والله ما ضعفت الأمة وذلت وهانت إلا يوم أن ضيعت الجهاد الذى أمرها به لتعيش عزيزة حميدة أو لتلقى الله شهيدة سعيدة.

والله ما ضاعت الأمة إلا يوم أن ضيعت الجهاد الذى جعله النبى ﷺ ذروة سنام هذا الدين.

وقد حرص أعداؤنا على أن يحولوا بين الأمة وبين الجهاد !!

وحاولوا بشتى الطرق على ألا نربى الأجيال المسلمة على روح الجهاد ،ولا على سير الأبطال المجاهدين لتظل الأمة ذليلة كسيرة مبعثرة كالغنم فى الليلة الشاتية الممطرة.

وبالفعل لقد تضاءل كثيراً مفهوم الجهاد فى حس المسلمين يوما بعد يوم حتى صارت الدعوة إلى الجهاد تقابل بشيء من الفتور البارد الشديد .

بل لا أكون مغاليا إن قلت حتي صارت الدعوة إلى الجهاد تقابل بشيء من الإنكار الشديد.

والحمد لله : فقد أثبتت الأيام عمليا أن مجلس الأمن وهيئة الأمم وجميع المحافل لن تعيد للأمة المكلومة حقوقها ،ولن تعيد لمن يذبحون تذبيح الخراف دماءهم ،ولن ترد لهذه الأمة هويتها وكرامتها وسيادتها.

بل لا سبيل لذلك على الإطلاق إلا باحياء روح الجهاد فى الأمة بتخليص النفوس ابتداء من الركون إلى هذا الوحل،والخلود إلى هذا

التراب والطين.

وقد شخص النبى الداء تشخيصا دقيقا وحدد الدواء كذلك تحديدا دقيقا ففي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود، وغيره من حديث ثوبان أنه ﷺ قال: « **يوشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها** » فقال قائل: من قلة نحن يومئذ ؟ قال: « **بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن** » **قيل**: وما الوهن يا رسول الله ؟
قال: « **حب الدنيا، وكراهية الموت** » [(١)]

وفى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد، وأبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « **إذا تبايعتم بالعينة، ورضيتم بالزرع وتبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد فى سبيل الله سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم** » [(٢)]

أسأل الله العظيم أن يرفع علم الجهاد، ويقمع أهل الزيغ والفساد وإنه ولى ذلك والقادر عليه



.... الدعاء

---

(١) رواه أبو داودرقم(٤٢٩٧) فى الملاحم باب فى تداعى الأمم على الإسلام، وفي سنده أبو عبد السلام صالح بن رستم الهامشى وهو مجهول، ولكن رواه أحمد ٥/٢٧٨ من طريق آخر وسنده قوى، وصححه شيخنا الألبانى حفظه الله فى الصحيحة.

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٤٦٢) فى البيوع باب فى النهى عن العينة، وصححه شيخنا الألباني فى الصحيحة رقم (١١).

بسم الله الرحمن الرحيم

«قذف المحصنات
الغافلات المؤمنات.»

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

[الأحزاب : ٧٠،٧١]

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

أحبتى فى الله :

فهذا هو لقاءنا الأخير مع السبع الموبقات التى حذر منها النبى ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال:

« اجتنبوا السبع الموبقات ،قالوا: يا رسول الله وما هن؟قال: الشرك بالله ،والسحر ،وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق،وأكل الربا ،وأكل مال اليتيم،والتولى يوم الزحف،وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.»[1]

ونحن اليوم على موعد مع الكبيرة الأخيرة ألا وهى :

---

(١) رواه البخارى رقم (٢٧٦٦) فى الوصايا ،باب قول الله تعالى: ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾ ،وفى الطب باب الشرك والسحر من الموبقات ،وفى المحاربين ،باب رمى المحصنات، ومسلم رقم (٨٩) فى الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها، وأبو داود رقم (٢٨٧٤) فى الوصايا، باب ما جاء فى التشديد فى أكل مال اليتيم، والنسائى(٦/ ٢٥٧) فى الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتم.

قذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

وحتى لا ينسحب بساط الوقت من تحت أقدامنا فسوف ينتظم حديثى مع حضراتكم فى العناصر التالية.

أولا: المعنى اللغوى.

ثانيا: شروط القذف وبما يثبت؟

ثالثا: حكم القذف وعقوبته فى الدنيا والآخرة.

رابعا: نموذج من القذف البشع.

وأخيرا: صور مشرقة.

فأعيرونى القلوب والأسماع، فإن هذا اللقاء من الأهمية بمكان.

أولا: المعنى اللغوى.

جاء فى لسان العرب لابن منظور:

القذف هو: الرمي والسَّب

ومعناه هنا: رمى المرأة بالزنا أو ما كان فى معناه.

والمحصنات: جمع محصنة وهى المرأة المتزوجة.

والمُحْصَنَةُ، والمُحْـصِنةُ كذلك: هى المرأة العفـيفة الـبعيـدة عن الريبة والشك.

والغافلات: من الغفلة، وهى الترك والسهو.

والغافلات: هن البريئات **الطوايا** المطمئنات النفس لأنهن لم يفعلن شيئا يحذرنه، ويخفن منه.

ثانيا : شروط القذف وبما يثبت.

إن القذف لا يصبح جـريمة تستحق الجلد إلا بشروط مـنها ما يجب توفرة فى القاذف ومـنها ما يجب توفره فى المقذوف ،ومـنها ما يجب توفره فى الشىء المقذوف به.

الشروط التى يجب توفرها فى القاذف وهى:

***: العقل والبلوغ والاختيار.**

وهذه الشروط هى أصل التكليف فإذا كان القاذف مجنونا أو صغيرا أو مُكْرها فـلا حـد عليـه. لقـول النبـى ﷺ فى الحـديث الذى رواه أحمد، وأبو داود ،والترمذى، والحاكم وغيرهم من حديث علىّ وصحح الحديث شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع أنه ﷺ قال: « **رُفِعَ القلمُ عن ثلاث ،عن النائم حتى يستيـقظ ،وعن الصبى حتى يحتلم،وعن المجنون حتي يفيق**»

وفي لفظ « **عن المعتوه حتى يعقل**»[1]

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٣٩٩، ٤٤٠٠، ٤٤٠١) فى الحـدود، باب فى المجنون يسـرق أو يصيب أحدا، واسناد حسن، وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٥١٣).

ولقـوله ﷺ في الحديث الذي رواه الطـبراني عن ثوبان وصـححه شيخنا الألباني في صحيح الجامع أنه ﷺ قال: « رُفِعَ »،وفى لفظ« **وضع عن أمتي الخطأ والنسيان،وما استكرهوا عليه.** »[1]

الشروط التي يجب توافرها في المقذوف وهي:

* **العقل**
* **البلوغ** (أيضا) فلا يحد من قذف الصـغير أو الصغيرة ،ولكن الإمام مـالك رحمـه الله يقول: إذا قذف بنـتا قبل البلوغ ولكـنها من الممكن أن يزنى بها والعياذ بالله،فإنه يستـحق الحد لأنه قد يفسد عليها مستقبلها ويؤذى أهلها .

ولكن جمهور العلماء قالوا يَعزر ،ولا حد عليه

* **الإسلام** : أى أن يكون المقذوف مسلما
* **العفة** : أى يكون المقذوف عفيفا بريئا من فعل الفاحشة التى رمى بها .
* **الحرية** : أى أن يكون المقـذوف حراً وإن كان قـذف الحر للعـبد محرماً.

لما رواه مسلم من حديث سعد بن أبى وقاص أنه ﷺ قال:
« **من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحـد يوم القيامة إلا أن يكون كما**

---

(١) رواه الطبراني ،وصححه شيخنا الألباني فى صحيح الجامع (٣٥١٥)،والإرواء (٨٢).

قال»(١)

ولما رواه البخاري ومسلم من حـديث أبى هريرة ،وهذا لفظ البخارى فى كتاب الحدود أنه ﷺ قال:

« من قذف مملـوكه وهو بريء مما قال جُـلِدَ يوم القيامـة إلا أن يكون كما قال»(٢)

الشروط التى يجب توافرها فى المقذوف به وهى:

التصريح بالزنا أو التعريض الظاهـر الذى يفهم منه القذف ويستوى في ذلك القول والكتابة.

ويثبت حد القذف بأحد أمرين

* إما باقرار القاذف نفسه.
* أو بشهادة الشهود عليه.

---

(١) رواه مـسلم رقم (١٦٦٠) فى الإيمان، باب التغليـظ على من قذف مملوكـه بالزنى، وأبو داود رقم (٥١٦٥) فى الأدب، باب فى حق المـملوك، والتـرمـذى رقم (١٩٤٠) فى البـر والصلة، باب النهى عن ضرب الخدم وشتمهم.

(٢) رواه البخاري رقم (٦٨٥٨) فى الحدود ،باب قذف العبيد.

ثالثا حكم القذف وعقوبته فى الدنيا والآخرة.

أحبتى فى الله :

إن الإسلام منهج حياة متكامل لا يقوم أساسا على العقوبة ،إنما يقوم على توفير أسباب الحياة النظيفة ،وتحقيق الضمانات والوقاية .

ثم يعاقب بعد ذلك من يدع الأخذ بهذه الأسباب الميسرة والضمانات الأمنية ليتمرغ فى أحوال المعصية طائعاً مختارا أو غير مضطر

ومن ثم يشدد الإسلام فى عقوبة القذف هذا التشديد ويتوعد عليها بأشد الوعيد ،لأن ترك الألسنة تلقى التهم جزافا بدون بينة أو دليل بترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف من شاء بتلك التهمة النكراء،ثم يمضى آمنا مطمئنا فتصبح الجماعة وتمسى،وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة .

وإذا كل فرد فيها متهم ومهدد بالاتهام !!

وإذا كل زوج فيها يشك فى زوجه !!

وكل رجل فيها يشك فى أصله!!

وكل بيت فيها مهدد بالانهيار !!

وهى حالة من الشك،والقلق والريبة لا تطاق!! (١)

ومن هنا ... صيانة للأعراض وحماية للمجتمع،شددالإسلام فى

---

(١) الظلال (٢٤٩٠ / ٤)

عقوبة القذف .

وأوجب على القاذف إذا لم يقم البنية ثلاثة أحكام وهى:

الأول: أن يجلد ثمانين جلدة.

الثاني: أن ترد شهادته أبدا.

الثالث: أن يصبح فاسقا ليس بعدل لا عند الله ،ولا عند الناس وهذا كلام متفق عليه بين العلماء ،مالم يتب القاذف إلى الله جل وعلا.

وهذه الأحكام الثلاثة نصت عليها آية محكمة واحدة من سورة النور قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[النور: ٤ , ٥]

أخرج أحمد وعبد الرزاق وأبو داود ،وابن جرير ،وابن المنذر وابن أبى حاتم ،وابن مردوية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال:

لما نزلت هذه الآية قال سعد بن عبادة سيد الأنصار رضى الله عنه أهكذا أنزلت يا رسول الله؟!

فقال رسول الله ﷺ:

« يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟»

فقالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور،والله ما تزوج امرأة

قط إلا بكرا ، وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منَّا على أن يتزوجها من شدة غيرته.

فقال سعد بن عبادة رضى الله عنه: بأبى أنت وأمى يا رسول الله إنى لأعلم أنها لحق ، وأنها من الله، ولكنى تعجبت أنى لو وجدت (لُكاعًا) - أى أمرأته - قد تفخذها رجل لم يكن لى أن أهيجه ولا أحركه حتى يأتى بأربعة شهداء فوالله لا آتى بهم إلا وقد قضى حاجته»[1]

وفى رواية البخارى ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال :

« لو رأيت رجلا مع امرأتى لضربته بالسيف غير مصفح،فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال:أتعجبون من غيرة سعد؟ والله لأنا أغير منه والله أغير منى ،ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»[2]

وبالفعل لم يلبثوا إلا يسيرا ، وقد وقع ما ذكره سعد بن عبادة رضى الله عنه .

---

(١)رواه مسلم رقم (١٤٩٨) فى اللعان فى فاتحته، والموطأ (٢/٧٣٧) فى الأقضية،باب القضاء فيمن وجد مع امرأته رجلا،وأبو داود رقم (٤٥٣٢) فى الديات،باب فيمن وجد مع أهله رجلا أيقتله؟

(٢) رواه البخاري رقم (٦٨٤٦) فى المحاربين ،باب من رأى مع امرأته رجلا فقتله،وفى التوحيد ،باب لاشخص أغير من الله،ورواه أيضا تعليقا (٩/٢٧٩) فى النكاح ،باب الغيرة،ومسلم رقم (١٤٩٩) فى اللعان فى فاتحته.

ففي الحديث الذى رواه البخارى ومسلم ،وأحمد من غيرهم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال:

فما لبثوا إلايسيرا حتى جاء هلال بن أمية من أرضه عشاءً فوجد عند امرأته رجلا يزنى بها يقال له شريك بن سحماء فرأى هلال

بن أمية بعينيه ،وسمع بإذنيه فلم يهيجه،حتى أصبح فغدا على رسول الله فقال : يا رسول الله ،إنى جئت على أهلى عشاء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعينى وسمعت بأذنى!!

فكره رسول الله ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الأنصار،وقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة .

وهكذا أيها الأحبة قذف هلال بن أمية زوجته عند النبى ﷺ بشريك بن سمحاء.

فقال النبى ﷺ: « **البينة أو حد فى ظهرك** »

فقال هلال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟

فجعل النبى ﷺ يقول : « البينة، أو حد فى ظهرك »

فقال هلال: ،والذى بعثك بالحق إنى لصادق ولينزلن الله ما يبرىء ظهرى من الحدّ!

يقول ابن عباس :فوالله إن رسول الله يريد أن يأمر بضربة إذ أنزل الله على رسوله الوحى،وكان إذا نزل عليه الوحى عرفوا ذلك فأمسكوا

حتى فرغ من الوحى.

فنزل قوله تعالى* : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

---

* قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى:

كذا في هذه الرواية أن آيات اللعان نزلت فى قصة هلال بن أمية، وفي حديث سعد الماضى (٤٧٤٩) أنها نزلت فى عويمر، ولفظه « فجاء عويمر فقال: يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: **قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك فأمرهما بالملاعنة**».

وقد اختلف الأئمة فى هذا الموضوع: فمنهم من رجح أنها نزلت فى شأن عويمر، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت فى شأنهما معا فى وقت واحد.

وقد جنح النووى إلى هذا، وسبقه الخطيب فقال: لعلهما اتفق كونهما جاءا فى وقت واحد.

ثم قال الحافظ: ولا مانع أن تعدد القصص ويتحد النزول، ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر ولم يكن يعلم بما وقع لهلال أعلمه النبى ﷺ بالحكم، ولهذا قال فى قصة هلال « فنزل جبريل »، وفى قصة عويمر « قد نزل الله فيك» فيؤول قوله قد أنزل الله فيك أى وفيمن كان مثلك، وأما قوله لعويمر: « وقد أنزل فيك وفى صاحبتك» فمنعناه ما نزل فى قصة هلال، ويؤيده أنه فى حديث أنس عند أبى يعلى قال: « أول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سمحاء قذفه هلال بن أمية بامرأته. أ. هـ [فتح الباري / ٨ / ٣٠٤، ٣٠٥ ط دار الريان للتراث بالقاهرة].

وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾

[النور: ٦ - ١٠]

فَسُرِّيَ عن رسول الله وقال:

«أبشر يا هلال فلقد جعل الله لك فرجا ومخرجا »

فقـال هلال : قد كنت أرجو ذلـك من ربى عز وجل فقـال رسول الله: « أرسلوا إليها» فجاءت.

فتلا النبى ﷺ عليهما الآيات فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا.

فقال هلال: والله يارسول الله لقد صدقت.

فقالت زوجته: كذب

فقال رسول الله: « **لاعنوا بينهما** »

فقيل لهلال: اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

فلما كانت الخامسة: قيل ياهلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن هذه الموجبة التى توجب عليك العذاب .

فقال هلال: والله لا يعذبنى الله عليها كما لم يجلدنى عليها.

فشهد فى الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين .

ثم قيل للمرأة إشهدى أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين.

وقيل لها عند الخـامسة: اتق الله فإن عـذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وأن هذه الموجبة التى توجب عليك العذابك.

فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف.

ثم قالت: والله لا أفضح قومى.

فشهدت فى الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين!!.

فَفَرَّق رسول الله ﷺ بينهما وقضى بأن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها.

ثم قال رسول الله: « **إن جاءت به (أى بولدها) أكحلُ العينين سابغ الأليَتَيْن خَدَلَّج الساقين فهو لشريك بن سحماء** »

فجاءت به كذلك.

فقال رسول الله: « **لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن** »[1]

وثبت أيضاً فى الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدى أن آيات اللعان نزلت فى عُويمر العجلانى.

ويتبين لنا أيها الأحبة أن اللعان بمنزلة البينة للرجل الذى رأى مع امرأته رجلاً ولا يمكنه أن يأتى بالبينة.

ويترتب على اللعان الأحكام التالية:

أولاً: الفرقة بين الرجل وزوجته.

ثانياً: تحرم عليه تحريماً أبدياً.

(١) رواه البخارى رقم (٤٧٤٧)في التفسيرسورة النور،باب « ويدرأعنها العذاب » وفي الشهادات ،باب إذا ادعي أو قذف فله أن يلتمس البينة، وفي الطلاق ،باب يبدأ الرجل بالتلاعن،وأبو داود رقم(٢٢٥٤) في الطلاق ،باب في اللعان والترمذي رقم (٣١٧٨) في التفسير باب ومن سورة النور.

ثالثاً: ينتفى عنه النسب فلا ينسب الولد إليه.

رابعاً: يسقط عنه حد القذف.

خامساً: وجب على المرأة الرجم.

فإذا لاعنت الزوجة أيضاً وشهدت أربع شهادات بالله أن زوجها لمن الكاذبين ثم قالت فى الخامسة أن غضب الله عليها إن كان زوجها من الصادقين فيما رماها به.

فإنه لا يتعلق بلعانها إلا حكم واحد وهو سقوط الحد عنها.

هذا هو حكم القذف. وهذه هى عقوبة القاذف فى الدنيا .

أما عقوبته فى الآخرة فإنها والله لقاسية يقول الله عزوجل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣ـ ٢٥]

رابعاً: نموذج من القذف البشع

من هذه النماذج البشعة ما حدث للطاهرة العفيفة .. الحصان الرزان الصديقة بنت الصديق عائشة رضى الله عنها !!

وتعالوا بنا أيها الأحباب نستمع إلى القصة كما ترويها أُمنا أم المؤمنين عائشة تقول رضي الله عنها وأرضاها:

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخـرج سفراً أقرع بين أزواجـه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه.

قالت: فأقرع بيننا فى غـزاة غزاها فخرج فيها سهـمى فخرجت معه بعدما أنزل الحجاب وأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه.

فـسرنا حـتى إذا فـرغ رسول الله من غـزوته تلك وقـفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلمـا قضيت من شـأنى أقبلت إلى الرحل فلمست صـدرى فإذا عقـد لى من جزع أظفـار وفى رواية: جزع ظفـار قد انقطع فـرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه.

وأقبل الرهط الذى كانوا يرحلون لى فـاحتملوا هودجى فرحلوا على بعـيرى الذى كنت أركب وهم يحـسبـون أنى فيـه وكان النسـاء إذ ذاك خفـافاً لم يثقلن ولم يغـشهن اللحم وإنما يأكلن العلقـة من الطعام فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا.

فوجدت عـقدى بعدما استـمر الجيش فجئت منزلهم وليس فـيه أحد فتيممت منزلى الذى كنت فيه وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون إلىّ.

فبينما أنا جالسة غلبتنى عيناى فنمت .

وكان صفوان بن المعطل السلـمى ثم الذكوانى عرس من وراء الجيش فأدلج فـأصبح عند منزلى فـرأى سواد إنسـان نائم فأتانى فـعرفنى حين

رآنى .

وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى والله ما كلمنى بكلمه ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه .

وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش. قالت: فهلك من هلك فى شأنى وكان الذى تولى كبر الإفك عبد الله بن أبى بن سلول .

والحديث بطوله رواه البخارى ، ومسلم وغيرهما.

وفى بعض الروايات أن عبد الله بن أبى بن سلول لما رأى صفوان بن المعطل رضى الله عنه جاء مقبلاً يجر الراحلة بهودج أم المؤمنين رضى الله عنها .

قال رأس النفاق: من هذا ؟

قالوا: عائشة رضى الله عنها.

فقال رأس النفاق : والله ما نجت منه ولا نجا منها!!

ثم قال ـ وبئس ما قال ـ امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها.

يا لها من قولة خبيثة . . يا لها من قولة شديدة آثمة وطير المنافق هذه القولة وتناولتها عصابات النفاق . . وسقط فى الهاوية بعض المسلمين ولاكت ألسنتهم هذه الفرية المرعبة !!

وماجت المدينة المطهرة بهذا الخبر الأليم شهراً كاملا !!

الله أكبر . . رسول الله يرمى فى بيته ؟! . . وفى مَنْ ؟!!

فى عائشة التى أحبها من كل قلبه!!

رسول الله يرمى فى طهارة فراشه وهو الطاهر الذى فاضت طهارته علي العالمين !!

رسول الله يرمى فى صيانة حرمته وهو القائم على صيانة الحرمات فى أمته !!

ها هو رسول الله يرمى فى كل شئ حين يرمى فى عائشة !!

يرمى فى فراشه !! يرمى فى شرفه !! يرمى فى قلبه !! يرمى في رسالته !!

ولحكمة يعلمها اللطيف الخبير العليم يدع الله هذا الأمر شهراً كاملاً لا تنزل فيه آية على رسول الله ﷺ!!

ورسول الله ﷺ يتألم آلاماً تنوء الجبال الراسيات بحملها.

وها هى عائشة الصديقة الطاهرة ترمى فى أعز ما تعتز به أى امرأة!!

ترمى فى شرفها وهى التى ترتبت فى العش الطاهر الرفيع !!

ترمى فى إيمانها وهى الزهرة التى تفتحت فى حقل الإسلام وبستان الوحى!! وعلى يد مَنْ ؟!

على يد سيد البشر محمد ﷺ.

وها هو أبو بكر الصديق يحطمه الألم وهو يرمى فى عرضه !!

وفى من ؟! فى ابنتـه زوج رسول الله ﷺ صـاحبه وحـبيـبه ونبـيه ورسوله الذى آمن به وصدقه.

ولكنه الصابر المحتسب القوى علي آلامه وجراحه.

فيقول بمرارة مريرة:

والله ما رمينا بهذا فى الجاهلية أفنرضى به فى الإسلام !!

وها هو الصحابى الجليل الطيب الطاهر المجاهد فى سبيل الله صفوان بن المعطل يرمى بخيانة نبيه فى زوجه !!

فيرمى بذلك فى إسلامه وفى أمانته وفى شرفه!!

الله أكبر .. إنها خطورة الكلمة !!

ونعود إلى أمنا أم المؤمنين الصديقـة الطاهرة الشريفة العفيـفة عائشة رضى الله عنها عندما علمت أن الناس تكلموا فيها وفى عرضها

تقول: فقلت: سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا ؟! أي بالإفك.

قالت: فبكيت تلك الليلة حتي أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى.

فـدعـا رسـول الله ﷺعلى بن أبى طـالب وأسـامـة بن زيد حين استبلث الوحى [١] يشيرهما فى فراق أهله.

قالت: فأمـا أسامة فأشار علـيه بما يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم فى نفسه من الود لهم

---

(١) قال الحـافظ فى الفتح: قـوله استلبث الوحى بـالرفع أى طال لبث نزوله وبالنصب أى استبطأ النبى ﷺ نزول الوحى.

فقال أسامة: هم أهلك [١] يارسول الله ولا نعلم والله إلا خيراً .

وأما على بن أبى طالب فقال: يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير [٢]

قالت: وبكيت يومى ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتى المقبلة لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم حتى أظن أن البكاء فالق كبدى.

قالت: فبينما أبواى جالسان عندى وأنا أبكى إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى.

فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس.

قالت: ولم يجلس عندى من يوم قيل له ما قيل ؟

وقد مكث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى بشئ.

قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال:

«أما بعد يا عائشة فإنه بلغنى عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه.» [٣]

---

(١) قال الحافظ فى الفتح : هم أهلك أى العفيفة اللائقة بك، وإطلاق الأهل على الزوجة شائع.

(٢) قال الكرماني : وإنما قال على رضى الله عنه ذلك تسهيلا للأمر على رسول الله ﷺ وإزالة لما هو ملتبس به، وتخفيفا لما شاهد فيه ، لا عداوة لهاحاشاهم عن ذلك.

(٣) قال الداودى أمرها بالاعتراف ولم يندبها إلى الكتمان. للفرق بين أزواج النبى ﷺ=

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى حتى ما أحس عنه قطرة فقلت لأبى: أجب عنى رسول الله ﷺ فيما قال!!

قال: والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ فيما قال!!

فقلت لأمى : أجيبى عنى رسول الله فيما قال .

قالت : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ!!

قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن

فقلت: إنى والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث الناس به حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إنى بريئة والله يعلم إنى بريئة لا تصدقونى بذلك ولئن اعترف لكم بأمر والله يعلم أنى بريئة لتصدقنى فوالله ما أجد لى ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال:

﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ١٨] .

ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا والله حينئذ أعلم أنى بريئة وأن الله مبرئى ببرائتى .

ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل فى شأنى وحياً يتلى، ولأنا أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله بالقرآن فى أمرى .

ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت: فوالله ما رام [1] رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من

= وغيرهن فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ،ولا يكتمنه إياه ،لأنه لا يحل لنبى إمساك من يقع منها ذلك بخلاف نساء الناس فإنهن يندبن إلى الستر.

(١) مارام : ما فارق

أهل البيت حتى أنزل الله علي نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء [١] حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى يوم شاتٍ من ثقل القول الذى أنزل عليه.

قالت: فَسُرِّى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك وكان أول كلمة تكلم بها أن قال لى: يا عائشة احمدى الله .

ومن الرواة من قال: أبشرى يا عائشة أما الله فقد برأك

فقالت لى أمى: قومى إلى رسول الله ﷺ.

فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذى أنزل براءتى فأنزل الله عزوجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن

(١) البرحاء: هى شدة الحمى.

تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾» (١)

[النور: ١١ - ١٩]

فى مقابل هذه الصورة القاتمة البشعة (صورة الإفك) نرى هذه الصورة المشرقة الوضيئة.

إنه الفتى الذى لم يجاوز العاشرة من عمره إلا قليلاً .

إنه عمير بن سعد الذى مات أبوه وتزوجت أمه برجل ثرى يقال له: الجلاس بن سويد الذى أحب عميراً حباً شديداً.

وفى السنة التاسعة للهجرة أمر النبى ﷺ المسلمين أن يستعدوا ويتجهزوا لغزوة تبوك وتسابق المؤمنون الصادقون وتكاسل المنافقون وذهب الفتى المؤمن عمير بن سعد ليقص على الجلاس ما رأى وما سمع من المؤمنين الصادقين الذين راحوا يبذلون كل ما يملكون لرسول الله ﷺ.

وإذ بالجلاس ينطق بعبارة تخرجه من الإسلام دفعة واحدة وتدخله

(١) رواه البخارى رقم (٢٦٦١) فى الشهادات باب تعديل النساء بعضهن بعضا ،ورواه أيضا فى الجهاد ،وفى المغازى،وفى التفسير وفى الاعتصام وفي التوحيد،ورواه مسلم رقم (٢٧٧٠) فى التوبة باب حديث الإفك ،وقبول توبة القاذف،والترمذى رقم (٣١٧٩) فى التفسير باب ،ومن سورة النور،والنسائى (١/١٦٣، ١٦٤) فى الطهارة ،باب بدء التيمم.

في الكفــر من أوسع أبوابه فلقد قــال الجلاس لعمــير: إن كــان محــمد صادقاً فيما يدعيه فنحن شر من الحمير!!!

فالتفت الفتى المؤمن عمير بن سعد إلى الجلاس وقال:

والله ما كــان على ظهر الأرض أحد بعــد رسول الله ﷺ أحب إليّ منك فأنت آثر الناس عندى وأجلــهم على ولقد قلت مقالة إن ذكــرتها فضحتك وإن أخــفيتها خُنْتُ أمانتى وأهلكت نفــسى ودينى وقد عزمت على أن أمضى إلى رسول الله ﷺ وأخــبره بما قلت فكن على بينة من أمرك. ومشى عمير بن ســعد وأخبر النبى ﷺ بما سمع من الجلاس بن سويــد. فاستــبقــاه الرسول ﷺ عنده وأرســل أحد أصحــابه ليدعــو له الجلاس فجاء الجلاس وحيا النبى ﷺ وجلس بين يديه.

فقال النبى ﷺ: ما مقالة سمعها منك عمير بن سعد ؟!

وذكر له النبى ﷺ مــا قال. فقال الجلاس : كــذب على يارسول الله وافتــرى !! فمــا تفوهت بشئ من ذلك وإنى أحلف بالله أنــى ما قلت شيئا مما نقله لك عــمير!! والتفت الرسول ﷺ إلى عميــر فرأى وجهه وقد احتقن بالدم والدموع تنحدر مدراراً من عــينيه فتتساقط على خديه وصدره، وهو يقول: اللهم أنزل على نبيك بيان ما تكلمت به

واستــجاب الــله دعوة هذا الفــتى المؤمن فغــشيت رســول الله ﷺ السكينة فــعرفوا أنه الوحى فلزمــوا أماكنهم وسكنت جــوارحهم ولاذوا بالصمت ،وتعلقت أبصارهم بالنبى ﷺ يتلو قول الله عز وجل :

﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ٧٤]

فارتعد الجلاس من هول ما سمع، وظل يصرخ: بل أتوب يا رسول الله!! بل أتوب يا رسول الله!! صدق عمير يا رسول الله وكنت من الكاذبين!!

وهنا توجه النبى ﷺ إلى الفتى البار ... إلي الفتي الصادق عمير بن سعد ودموع الفرح تبلل وجهه المشرق بنور الإيمان، فمد الرسول الكريم يده الشريفة إلى أذن عمير وأمسكها برفق وقال: **وفت أذنك ما سمعت وصدقك ربك يا عمير**(١)

أسأل الله جل وعلا أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض ...

.... الدعاء

---

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور مختصرا وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن أبى شيبة، وابن إسحاق وغيرهم، انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ٣٧١)ط. دارالتراث بالقاهرة.

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الإمام ابن الجوزى رحمه اللّٰه تعالى(*) :

« ولقد جلستُ يوماً فرأيتُ حَولى أكثَر من عشرة آلاف ، ما فيهم إلاَّ مَنْ قد رَقَّ قلبُه ، أو دَمَعتْ عينُه ، فَقُلتُ لِنفْسِى كَيفَ بك إنْ نَجَوْا وهَلَكْت ؟ !

فَصِحْتُ بلسان وَجْدِى : إلَهى وَسَيْدى إنْ قَضَيْتَ عَلَيَّ بالعذاب غداً فلا تُعلمهُم بِعَذابى ، صيانةً لِكَرمِك لا لأجْلى ، لَئلا يَقُولوا : عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَلَيْه » .

(*) صيدُ الخاطر ص ٣٢١ طبعة دار اليقين.

رقم الإيداع : ١٩٤٧ / ١٩٩٦ م

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣

دار الطباعة والنشر الإسلامية